الجمهـورية الجـزائرية الديـمقراطية الشعبيـة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

موسومة بـ:

علوم القرآن في المغرب الإسلامي خلال القرنين (3/1هـ-9/7 م) بين التقليد والتجديد

إعداد الطالبات:

- رابح خيرة
- مالكي خيرة
- حنو فاطمة الزهراء

إشراف الدكتور

د. عليلي محمد

لجنة المناقشة:

- د. كوريب عبد الرحمن.....رئيساً
- د.عليلي محمد.....مشرفاً و مقررا
- د. حاج عيسى إلياس.....مناقشاً

السنة الجامعية: 1439-1440هـ/ 2018-2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

نتقدم بجزيل الشكر والامتنان وخالص العرفان والتقدير إلى أستاذنا عليلي محمد الذي شرفنا بقبوله تأطير هذه المذكرة وعلى دعمه لنا و إمدادنا بالمعلومات القيمة، فجزاه الله خير الجزاء ويسر له أموره.

و الشكر والامتنان موصول إلى الأستاذين المناقشين لعناء قراءة و تصحيح هذه المذكرة، دون أن ننسى الأساتذة الذين درسونا طوال المرحلة الجامعية و على رأسهم عميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية الأستاذ الدكتور محمد تاج .

إهداء

إلى من ربياني صغيرة، ورافقاني في حياتي مرشدين وناصحين فكانا بذلك نبراسا أضاء لي دربي .

إلى الوالدين و الإخوة و الأخوات

إلى العائلة الكريمة رابح وخاصة الأطفال منهم.

إلى بلقاسم و جوهر و فاطمة و نجاة .

رابح خيرة

إهداء

إلى الوالدين الكريمين رعاهما الله و حفظهما

إلى العائلة الكريمة حنو والإخوة الكرام

إلى كل الزميلات و الزملاء .

حنو فاطمة الزهراء

إهداء

إلى من كان لي عونا و سندا إلى والدي الكريمين حفظهما الله ورعاهما

إلى الأهل و الأقارب

إلى الإخوة و الأصدقاء

إلى زملاء الدراسة و كل من كان لنا لقائه في جامعة ابن خلدون.

مالكي خيرة

المختصر	المدلـــــــول
تر:	ترجمة.
تح:	تحقيق .
تع:	تعليق .
ج:	جزء.
ط:	الطبعة .
م:	ميلادي .
هـ:	هجري .
ص:	الصفحة .
موفم:	المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
د.ت	دون تاريخ
د.ب	دون بلد

مقدمة

لا شك أن دراسة علوم القرآن في المغرب الإسلامي خلال القرنين الأول والثالث الهجريين الموافقين للسابع والتاسع الميلاديين، موضوع مهم وجدير بالبحث، فهو ذو أهمية تاريخية وحضارية، باعتباره موضوعا متعلقا بالدين الإسلامي من حيث أنه المصدر الأول للتشريع.

فالدين الإسلامي شكل أساس الارتباط بين الشعوب الإسلامية، وقد حث على طلب العلم في مواضيع كثيرة، فانكب المسلمون على دراسة وتدريس القرآن والسنة منذ عهد النبوة، وازداد هذا الاهتمام بانقطاع الوحي بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لاسيما بعد اعتناق شعوب كثيرة للإسلام، وظهرت الحاجة للقراءات وتفسير القرآن، ومعرفة أحكام الحلال والحرام، هنا تأكدت ضرورة العناية بعلوم القرآن .

فمع تطور الحياة في المدن الإسلامية خاصة بلاد المغرب الإسلامي ، أخذت علوم القرآن في التطور وبالأخص في القرن الثالث الهجري الموافق للتاسع الميلادي، فعمل أهل البلاد على مواكبة الاهتمام بهذه العلوم لمعرفة دينهم و خدمة دنياهم معا على غرار المشرق الإسلامي .

لقد تمثلت أهمية هذا الموضوع باعتبار أولا أن علوم القرآن هي مصدر مهم لبقية العلوم النقلية الأخرى، وثانيا معرفة نشأة ووضعية علوم القرآن في المغرب الإسلامي، وأهم المراحل التي مرّت بها، بالإضافة إلى بيان فئة من العلماء الذين نبغوا في علوم القرآن من مقرئين ومفسرين وأهم مصنفاتهم، وما امتازت به على غيرها من مصنفات المشرق، وإبراز قيمتها العلمية .

أما من حيث الدوافع التي جعلتنا نتطرق لهذا الموضوع فهي الرغبة في الإسهام في معرفة التطور التاريخي لعلم القراءات و التفسير و رجالاتهما، فهما من أسس العلوم الشرعية.

وللوصول إلى الحيثيات المتصلة بالموضوع تناولنا الإشكالية التالية: **ما مدى استقلالية هذه العلوم عن المشرق باعتباره المصدر الاول للعلوم النقلية (مصدر نزول القرآن الكريم)؟ وما أثر المذهبية (المالكية والاباضية) على علم التفسير ؟**

وللوصول إلى الأهداف العلمية المرجوة اتبعنا المنهج التاريخي التحليلي المقارن، فالمنهج التاريخي يتبين من خلال جمع المادة التاريخية ونقدها واستخلاص المعلومات التي تخدم موضوع الدراسة، أما المنهج التحليلي المقارن يتجلى في استقراء الأحداث التاريخية واستنباط الاستنتاجات من خلال المقارنة بين أراء المذاهب حول موضوع علوم القرآن.

ولتوضيح المعالم الكبرى للبحث اعتمدنا على الخطة التالية :

-مقدمة استعرضنا فيها اهمية الموضوع والدوافع المتصلة باختيارنا لعنوان البحث وطرح الاشكالية مع المنهج المتبع في البحث مع ذكر اهم المصادر والمراجع التي افادتنا محاولة الإلمام بهذه الدراسة.

-المدخل عبارة عن فصل تمهيدي للموضوع، أدرجناه تحت عنوان: عوامل وإرهاصات الحركة العلمية في المغرب الإسلامي حيث تطرقنا فيه إلى دور الوافدين و الرحلات العلمية و الحواضر الإسلامية و المؤسسات التعليمية ودورها في نشر الإسلام في بلاد المغرب .

-الفصل الأول خصصناه للحديث عن علم القراءات، وضمناه تعريف لعلم القراءات وأولى بداياته، ثم تطرقنا لذكر بذور هذا العلم في بلاد المغرب على عهد الدول المستقلة بما فيها الأندلس.

-الفصل الثاني استعرضنا فيه التعريف بعلم التفسير و أهميته ومراحل تطوره، كما أظهرنا فيه أهم المفسرين في بلاد المغرب والأندلس.

-الفصل الثالث أفردناه لأشهر المقرئيين و المفسرين وما ألفوه في هذا الصدد، و ختمنا هذا البحث بخاتمة كانت عبارة عن استنتاج حول الموضوع .

وحتى نلم بقدر كبير بجوانب الموضوع قيد البحث،استخدمنا مجموعة من المصادر و المراجع حسب أهميتها وما تضمنته من مادة علمية ذات صلة مباشرة بالموضوع:

-المصادر:

- أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي ت:(494هـ/1102م)، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية و زهادهم و نساكم وسير من أخبارهم فضائلهم و أوصافهم**، هذا الكتاب من جزئين، تعرض بنوع من التفصيل لمختلف الفقهاء و علماء إفريقية والقيروان، أفادنا في استخلاص تراجم الفقهاء الذي كان لهم تأثير في بلاد المغرب.
- أبو زيدعبدالرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ ت: (696ه/1297م)،**معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، فيه ترجمة لكل من حل بإفريقية من الصحابة و التابعين، ويقع في ثلاثة أجزاء، أفادنا في معرفة فقهاء المالكية الذين عاشوا في افريقية في القرنين الأول والثالث الهجريين .

- ابن الصغير ، **أخبار الأئمة الرستمين**، يعتبر مصدرا متخصصا في تاريخ الدولة الرستمية، وتكمن أهميته في معاصرة المؤلف للأحداث التي أرخ لها ، وقد أفادنا في الإطلاع على الحياة العلمية للدولة الرستمية .
- أبي زكريا يحي ت:(471هـ/1178م)، **كتاب سير الأئمة و أخبارهم**، يعتبر أهم مصدر في تاريخ الدولة الرستمية، باعتباره الأغزر من ناحية المعلومات، وقد أفادنا في معرفة النشاط الثقافي في تيهرت، وسير علماءها و شيوخها الإباضيين .
- أحمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف باليعقوبي ت:(284هـ/797م)، **البلدان**، و ألف الكاتب هذا الكتاب بناء على مشاهداته الشخصية، وأهم ما تطرق له مظاهر الحياة الدينية والثقافية والإجتماعية في بلاد المغرب .

– المراجع:

- إبراهيم بحاز، **الدولة الرستمية، (دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية)**،رصد فيه تاريخ الدولة الرستمية ، و عرض العوامل التي ساعدت على النهضة الفكرية الدينية .
- هند شلبي، **القراءات بإفريقية منذ الفتح إلى منتصف القرن الخامس هجري**،أفادنا هذا المرجع كثيرا في تقصي علم القراءات ونشأته و انتشاره في المغرب الإسلامي و الأندلس.
- محمد عليلي، **الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي خلال القرنين الأول و الثالث الهجريين الموافق للسابع والتاسع الميلاديين**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان)،وهي من أكثر المراجع المعتمدة في بحثنا، إذ تناولت الحياة الدينية والفكرية في المغرب الإسلامي لأنها ذات صلة مباشرة بموضوع البحث.

وكأي بحث أكاديمي واجهتنا مجموعة من الصعوبات المتمثلة في :

–ندرة المصادر المتخصصة في علم القراءات في الأندلس والدولة الرستمية، إذ أن أغلبها لا يزال مخطوطا في خزائن المكتبات في العالم .

–صعوبة التعامل مع بعض المصادر والمراجع لأنها ليست مرتبطة ارتباطا مباشرا بالحادثة التاريخية .

–صعوبة استخلاص المادة التاريخية من بعض المصادر والمراجع بخصوصيتها العلمية.

وتبقى هذه الصعوبات من طبيعة و تمام البحث العلمي.

المدخل : عوامل و إرهاصات الحركة العلمية في المغرب الإسلامي.

1–دور الوافدين في نشر الإسلام في بلاد المغرب.

2–دور الرحلات العلمية في ترسيخ الإسلام.

3–الحواضر العربية ودورها في نشر الإسلام.

4–دور المؤسسات التعليمية في نشر الإسلام

استغرق فتح بلاد المغرب مدة طويلة تكاد تقارب السبعين عاما، وذلك لصعوبة البلاد من الناحية الجغرافية واشتداد المقاومة البربرية، زد إلى ذلك الفتنة الكبرى بين علي بن أبي طالب إضافة إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وأوّل من أعطى الإشارة لانطلاق عملية الفتح الحقيقي هو ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد ارتبط فتح بلاد المغرب بالحركة العامة للفتوحات الإسلامية التي اتجهت شرقا وغربا، وقد وجدت الدعوة الإسلامية قبولا تدريجيا لدى أهل بلاد المغرب كما تحمسوا لها و تأثروا بها بصورة كبيرة .

فالمسلمون عند قدومهم إلى بلاد المغرب جاؤوا من أجل نشر الإسلام بين ربوع البربر، وليس كما يصور الكثير من المستشرقين ومن نحى نحوهم من بعض المؤرخين العرب ذوي التوجه اليساري بأنهم قدموا من أجل الغنائم، وخير دليل على ذلك ما ترتب عن الفتح من آثار حضارية عميقة شملت النواحي الاجتماعية و الثقافية المتمثلة في نشر الإسلام و اللغة العربية و ازدهار العلوم، فقد كانت أولى العلوم التي اهتم بها أهل المغرب هي العلوم النقلية وفي مقدمتها علوم القرآن، وما اتصل بها من فروع كعلم القراءات و علم التفسير .

1-دور الوافدين في نشر الإسلام في بلاد المغرب:

كانت معالم الإسلام واضحة حول الدعوة إليه، وجاء في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تبين ذلك لقوله تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾** ﴾[1] .

1-سورة النحل، الآية 125.

وقوله تعالى أيضا: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِۢن بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾[1]، فعلى هذا الأساس كان المبدأ في دعوة البربر[2] للدخول إلى الإسلام.

ذكر المالكي توافد الصحابة والدعاة على بلاد المغرب ومن أبرزهم عبد الله بن العباس[3] وعبد الله بن الزبير و أبي ذر الغفاري[4] وعبد الرحمن بن عمرو بن العاص[5]، هذا الأخير الذي كان كثير الرواية عن رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و نذكر من الصحابة الآخرين الذين وفدوا إلى المغرب: أبي زمعة البلوي و يسر بن أبي أرطاة[6] و رويفع بن ثابت الأنصاري الذي ولي طرابلس من طرف معاوية سنة 646-666هـ.[7]

1-سورة البقرة، الآية 256.

2-أطلقت على سكان البلاد الأصليين، وهذه التسمية ذات أصل يوناني، إذ كانت في بادئ الأمر تطلق على من هو ليس يوناني، فهم أقدم الجماعات البشرية التي استوطنت شمال افريقيا .ينظر : أبوالقاسم محمد كرّو،عصر القيروان، ط2، دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق،1989م،ص10-11.

3-كان من ملازمي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحامل حديثه، كان متفقها في الدين حتى وصف بالبحر، روي عنه 1000 حديث. ينظر: محمد بن محمد بن عمر قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج2،تع: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية،ط2، بيروت، 1424هـ/2003م، ص108-109.

4-من كبار الصحابة، كان كثير العزلة دخل افريقية مع أبي سرح وشهد فتح مصر، ينظر: أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج1، تح:البشير بكوش، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1430/1938هـ،، ص 71.

5-أبو محمد عبد الله بن عمرو بن العاص، صحب الرسول صلى الله عليه وسلم وأكثر الرواية عنه،رحل إلى الشام ثم إلى مكة و سكن بها، ينظر:المالكي، نفس المصدر، ص65.

6-يسر بن أبي أرطأة بن أبي قرشي، أحد قواد معاوية ومن كبار الصحابة، غزا طرابلس مع عمرو بن العاص، ينظر: الرقيق القيرواني، تاريخ افريقيا والمغرب، تح: محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ط1414،1هـ/ 1994م،ص 52.

7-صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى عنه، وأدخله محمد بن سنجر في مسنده،ينظر: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج1، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، (د.ب)،1387هـ/1967م، ص199.

وقد استقر هؤلاء في افريقية كدعاة للإسلام، وحرصوا على تعليم أهل المغرب للتعاليم الإسلام من خلال القرآن الكريم و السنة النبوية، وكان ذلك بشكل تدريجي، وترك عقبة بن نافع صاحبه شاكرا بالمغرب و ترك موسى بن نصير [1]على طنجة وذلك لتعليم البربر القرآن [2].

إن معاوية بن أبي سفيان عزل معاوية بن حديج عن افريقية و استعمل عليها عقبة بن نافع الفهري[3] وكان مقيما ببرقة وزويلة منذ فتحها أيام عمر بن العاص وله في تلك البلاد جهاد وفتوح، فلما استعمله معاوية سيّر إليه عشر آلاف فارس فدخل افريقية، وانضاف إليه من أسلم من البربر، فكثر جمعه ووضع السيف في أهل البلاد لأنهم كانوا إذا دخل عليهم أمير أطاعوه و أظهروا بعضهم لبعض الإسلام، فإذا عاد الأمير عنهم نكثوا و إرتدّ من أسلم[4].

كما اهتم حسان بن النعمان [5]بتعليم اللغة العربية للبربر لأن اللغة العربية هي لغة القرآن[6]، القرآن[6]، بالإضافة إلى هجرات القبائل نحو بلاد المغرب و تعريب الدواوين الذي بدا في عهد مالك مالك بن مروان [7] .

1-هو القائد التابعي المعروف بعبد الرحمن موسى بن نصير اللخمي، ولد 19هـ وتوفي 98هـ،أبوه من كبار فرس معاوية بن أبي سفيان، تولى الحكم على المغرب مكان حسان بن النعمان سنة 86هـ في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك الأموي، ينظر: الرقيق القيرواني، المصدر السابق،ص 51.

2- هند شلبي، القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس هجري، الدار العربية للكتاب، د.م،1983،ص.38.

3-هو عقبة بن نافع بن عبد الله بن قيس الفهري، ولاه معاوية سنة 45هـ على افريقية و اقتطعها عن معاوية بن خديج، بنى القيروان وقاتل البربر.ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج4، تح :خليل شحاتة، دار الفكر، لبنان،1421هـ/2000م، ص 237.

4-أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج3،تح: أبو الفداء عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلمية،، بيروت، 1407هـ/1987م،، ص320.

5-هو حسان بن النعمان الغساني، أول من دخل افريقية من أهل الشام في زمن بني أمية، رحل إلى ملك قرطاجة وقام قتال بينهم . ينظر: المالكي :المصدر السابق، ص 48.

6-هند شلبي، المرجع السابق، ص 38.

7-عاصم الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، (د.ت)،ص 29.

إضافة إلى أبي المهاجر دينار[1] الذي كان على رأس المائة الأولى للهجرة، والتي تعتبر البداية الرسمية لتعليم البربر الإسلام والقرآن. قد كان كل عضو من أعضاء البعثة قد اختط بالقيروان دارا لسكناه ومسجدا للعبادة و كتابا لتحفيظ القرآن [2]، كما قام حسان بن النعمان ببناء مدينة تكروان شمال القيروان.[3]

وهكذا يمكن القول إنه كان للدعاة و الفاتحين الأثر الأكبر في نشر الإسلام واللغة العربية و تفقيه البربر بدينهم الجديد، فقد أقبلوا على هؤلاء الدعاة والتفوا حولهم [4]،إذ أن هؤلاء المتعلمين من أهل المغرب كانوا يقضون بعض الوقت في الدراسة في القيروان ثم يعودون إلى قبائلهم ونواحيهم [5]، و بفضلهم شهد المغرب تقدما و تطورا كبيرا في معظم العلوم منذ أن تمت عملية الفتح .[6]

2-دور الرحلات العلمية في نشر الإسلام:

مثلت الرحلات التي قام بها العلماء إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي بجانبيه الشرقي والغربي مظهرا من مظاهر الحضارة الإسلامية، خاصة و أن المشرق كانت به أماكن إسلامية مقدسة، من حيث أن موسم الحج كان فرصة لإقامة رحلات علمية، مع العلم أن الأحوال السياسية

1-تولى إمارة افريقية في فترة ولايتي عقبة الأولى و الثانية على عهد معاوية . ينظر: الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 41.

2-هند شلبي، المرجع السابق، ص 40.

3-عبد الواحد ذنون طه، الفتح و الإستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقية و الأندلس، دار الكتب الوطنية، بنغازي (ليبيا)،2002، ص111.

4- حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، د.ت، ص 294.

5-نفسه، ص .297

6-شعبان إيمان، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب و أثره الحضاري، (مذكرة لنيل شهادة الماجستار في التاريخ الوسيط)، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2014-2015، ص 50.

المضطربة لم تكن تمنع العلماء و طلبة العلم من الرحلات و التواصل فيما بينهم[1].

وقد أرسل عمر بن عبد العزيز جمعا من العلماء والصحابة إلى المغرب، واعتبرت هذه الرحلة كمرحلة للبدأ الفعلي في تعليم الأمور الدينية، حيث سميت بالبعثة العمرية، باعتبار علو مكانة العلماء واشتهارهم بالعلم والفقه و الدعوة [2] وأبرزهم نذكر:

أ–إسماعيل بن عبيد الأنصاري : كان من التابعين سكن القيروان و بث فيها علما كثيرا و بنى المسجد الكبير و توفي غريقا و ختم الله أعماله بالشهادة .[3]

ب–عبد الله بن يزيد المعافري : كان رجلا صالحا، روي عن مجموعة من الصحابة منهم أبو أيوب الأنصاري و عبد الله بن عمر وعقبة بن عامر، سكن القيروان و اختط بها دارا ومسجدا بناحية تونس .[4]

ج–حيان بن أبي جبلة القرشي : وهو من موالي بني عبد الدار، ومن أهل الفضل والدين، روى عن جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن العباس و عمرو بن العاص وولده عبد الله، توفي سنة 125هـ وقيل ب 122هـ بالقيروان. [5]

1- عبد الواحد ذنون طه، الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق، دار المدار الإسلامي، (د.ب)،(د.ت)،ص 153.

2- محمد علي الصلابي، الدولة الأموية عوامل الإزدهار و تداعيات الإنهيار، ط2، دار المعرفة، بيروت(لبنان)،2008م، ص.302

3- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 106.

4- أبو زيد بن محمد الانصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: محمد أبو النور و محمد ماضود، مكتبة الخانجي، مصر، ص 180.

5- المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 112.

وكانت القيروان من أهم مراكز العلم حيث كانت ممر الطلبة والعلماء من أهل المغرب والأندلس نحو المشرق، كما حدث مع بن مخلد المسند القرطبي و المحدّث درّاس بن إسماعيل الفاسي و غيرهما، كما كان يدخلها من يقصد المغرب أو الأندلس من أهل المشرق[1].

فقد كان أهل المغرب يتحملون مشقة السفر من أجل تحصيل العلم و نذكر في هذا الصدد أسد بن فرات يقول :" ضربنا في طلب العلم أباط الإبل، اعترينا في البلدان و لقينا العلماء ".[2]

وارتأينا أن نبرز إحدى هذه الرحلات وهي رحلة يحي بن يحي الليثي إلى المشرق، و اسمه الكامل أبو محمد الليثي البربري المصمودي الأندلسي ولد في 152هـ، و سمع من الفقيه زياد بن عبد الرحمن و يحي بن مضر وارتحل إلى المشرق وأواخر الإمام مالك فسمع منه الموطأ و سمع من الليث بن سعد و سفيان بن عيينة و عبد الله بن وهب[3].

وذكر المؤرخون أنه كانت ليحي رحلتان إلى الأندلس حيث سمع في أولهما من مالك و سمع في الثانية من ابن القاسم وبه تفقه.[4]

و يعرف يحي بن يحي الليثي[5] بالموطأ (موطأ يحي) و اعتمد عليه الكثيرين من أهل العلم و منهم ابن عبد البرّ، فقد اعتمد عليه في شرحه في كتابين له وهما التمهيد و الاستذكار.

1-الحسين بن محمد شواط، مدرسة الحديث في القيروان من القتح الإسلامي إلى منتصف القرن 5 هـ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، 1411هـ، ص .53

2-المالكي، المصدر السابق، ج1، ص .267

3-شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10، تح: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي،ط1،مؤسسة الرسالة، بيروت، 1402هـ/1982م،، ص 520.

4-بعلي حفناوي، الرحلات الحجازية، المغاربة الأعلام في البلد الحرام، ط1، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2017،ص57-58.

5-أحمد بن يحي الليثي، محدث توفي بالأندلس سنة267هـ، ذكره أبو السعيد بن يونس، ينظر:أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة بن يحي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، ج1، تح: إبراهيم الأبياري، ط1،دار الكتاب اللبناني، بيروت،1410هـ/1989م، ص 257.

3-دور الحواضر الإسلامية في ترسيخ الإسلام في المغرب :

تعتبر القيروان[1] أول مدينة إسلامية بنيت في بلاد المغرب[2]، وهي نقطة ارتكاز لعملية الفتح، اعتبرت شاهدا حضاريا، أحاطت ببنائها ظروف تاريخية ارتبطت برغبة الفاتحين المسلمين في بسط نفوذهم و إتمام رسالتهم بهذه الديار من جهة.[3]

كان عقبة بن نافع (50-55هـ /680-685م) يقدر أهمية البناء والإقامة مدينة للمسلمين في إفريقية لأنه قال :"إن افريقية إذا دخلها إمام أجابوا إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر "، فشرع في اختطاط هذه المدينة سنة 50هـ/680م لتكون قاعدة للمسلمين و مركز لانطلاق الجيوش العربية الإسلامية نحو الفتح و التحرير[4].

وكان عقبة بن نافع يعرف أهمية إقامة مدينة القيروان (العاصمة الإسلامية) الأولى في المغرب حيث يذكر موسى لقبال :"أن قيام القيروان حدث له أهميته الكبرى في تاريخ افريقية الإسلامية لأنها أصبحت نواة لولاية جديدة هي ولاية المغرب "[5]، لقد كان دور رئيسي في نشر الإسلام وامتداد نفوذها إلى القارة الإفريقية وأوروبا .

1-أنشأها عقبة بن نافع وقام فيها بإنشاء المسجد الجامع 55هـ، أصبحت تعم بالعلماء والشعراء،ينظر: عبد العزيز الثغالبي، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تح:أحمد بن ميلاد و محمد إدريس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1407هـ/1987م،ص 44-45.

2- ينظر للملحق رقم 01، ص 88.

3- محمد عليلي، الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي خلال القرنين الأول والثالث هجريين، السابع والتاسع ملاديين، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، إش: بلحاج معروف، جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان،2015-2016، ص 162.

4-عبد الرحمن حسن الله الحاج أحمد، (بنو الأغالب ودورهم الحضاري في إفريقيا)، مجلة بحوث نصف سنوية، العدد20،جانفي 1999م/رمضان 1419هـ،ص 164.

5- موسى لقبال، المغرب الإسلامي منذ معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة و نظم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الرغاية (الجزائر)، 1918،ص 33.

أما الجانب الحضاري المتعلق ببناء مدينة القيروان يتصل باستقرار بعض الصحابة فيها فضلا عن عدد كبير من التابعين قد هيأ لها أن تكون مركزا للإشعاع الفكري و الحضاري[1].

وكان أول شيء اهتم به المسلمون العرب هو نشر الإسلام و أحكامه واللغة العربية التي واكبت انتشار الإسلام، وأن أهمية المدينة من هذه الناحية تتوضح من خلال تاريخها الطويل في رفع الحركة العلمية ولا ينحصر تأثيرها على مدن المغرب وإنما على عموم المنطقة سواء أكانت في المغرب والأندلس أو غيرها[2]، وكان من أثار انتشار الثقافة الإسلامية في القيروان والتي رعاها رجال الفتح والدعوة أن أصبحت مركزا يشع بالدراسات و تعدد المذاهب، وتنوعت حلقات البحث في مساجد القيروان السبعة القديمة .

لقد انتهج البربر سياسة بناء المساجد وأهم ما بني في هذه الفترة مسجد أغمات، كما لجأ البربر المسلمون إلى تحويل بعض الكنائس إلى مساجد وكان دور المساجد إلى جانب الصلاة دورا تعليميا ثقافيا اجتماعيا مجسدا في حلقات التدريس و الإفتاء والفصل في النزاعات، فكان المسجد بذلك نواة التواصل والإرتقاء[3].

قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله المالكي :" أما القيروان فهي البلاد الأعظم، و المصدر المخصوص بالشرق الأقدم، قاعدة الإسلام و المسلمين بالمغرب، وقطرهم الأفخر الذي أصبح لسان الدهر عن فضله يعرب، وبشرفه يغرب، قرارة الدين والإيمان، والأرض المطهرة من رجس الكافرين وعبدة الأوثان، قبلتها أول قبلة رسمت في البلاد المغربية، وسجد لله فيها سرا وعلانية، ناهيك بأرض كانت منازل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و محط رحالهم و معقلهم للإسلام المقصود إليها بسيرهم وأفعالهم و البقعة التي خيروها مقر الإسلام و المسلمين"[4].

1-لمياء عز الدين الصباغ، (القيروان ملتقى الأندلسيين)، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، العراق، العدد 4، 2011، ص174.

2-نفسه، ص 174.

3- أوكيل مصطفى باديس، انتشار الإسلام في بلاد المغرب وآثاره على المجتمع خلال القرن الأول هجري، مذكرة لنيل شهادة الماجستار في التاريخ الإسلامي، إش: صالح بن قربة، جامعة الجزائر، 2005-2006م، ص .105

4-الدباغ، المصدر السابق،ص 05.

4- دور المؤسسات التعليمية في نشر الإسلام في بلاد المغرب :

كان للمؤسسات التعليمية دور كبير في نشر تعاليم الدين الإسلامي و تدريسها، فقد اعتبرت النواة الأولى و الركيزة التي ينطلق منها الإسلام ومن بين هذه المؤسسات :

أ-المساجد:

تعتبر المساجد و الجوامع من المؤسسات التعليمية الأولى التي مورس فيها التعليم بعد الفتوحات الإسلامية ببلاد المغرب في القرن الأول الهجري، حيث ارتبط انتشار الإسلام بانتشار المساجد، فعندما حل العرب ببلاد المغرب بدؤوا بنشر الثقافة الإسلامية من الأيام الأولى للفتح حيث أسسوا مسجدين أحدهما في طرابلس و الثاني في غرب طرابلس و ذلك في حملة عمرو بن العاص سنة 22هـ/640م[1].

كان المسجد مكانا يجتمع فيه المسلمون للتباحث في أمور دينهم ودنياهم، إضافة إلى كونه مركزا للدعوة إلى الإسلام، فالمسجد في الإسلام هو مؤسسة تعليمية قائمة بذاتها إلى الجانب التربوي.[2]

وأعظم مسجد هو مسجد عقبة بن نافع[3] في قلب القيروان بين العامين 50و 55هـ الذي مده بالمعلمين و المرشدين لتفقيه البربر في الدين، كما قام العامة من الناس ببناء مساكن و مساجد أخرى حوله.[4]

1-حسين أسكان، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط، المعهد المالكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2004م،ص 76.

2-بوعلام صالحي، الحياة العلمية في افريقية في عصر الدولة الأغلبية (184-296هـ/800-909م)، مذكرة لنيل درجة الدكتوراه، إش: خالد كبير علال، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 1429-1430هـ/2008-2009م،ص 221.

3-ينظر للملحق رقم 02، ص89.

4-نجوى عثمان، مساجد القيروان، دار عكرمة، دمشق، 2000م،ص 14.

ب- الكتاتيب:

يقول الفيروز آبادي :" الكتاب هو موضع تعليم الكتابة، كالتكتيب، كمقعد و مكتب"[1]،والكتاتيب مكانا يكون غالبا بجوار المسجد و لذلك لتعليم القراءة والكتابة و القرآن الكريم و علوم الشريعة و اللغة.[2]

شرع التابعين في بناء المساجد و الكتاتيب ومن بينهم إسماعيل بن عبيد الأنصاري أحد أفراد البعثة التي قام بها عمر بن عبد العزيز[3]لما فتح العرب من الصحابة التابعين افريقية، وذلك أواسط القرن الأول هجري وكان من بينهم الكثير من عيالهم فالتفوا إلى تعليم صبيانهم فاتخذوا لهم الكتاتيب لنشر الدين الإسلامي و تعليمهم القراءة[4].

ج-الرباطات:

الربط في اللغة يدل على الشد و الثبات، من ذلك ربطت الشيء ربطا والذي يشد به الرباط، أما اصطلاحا فيقصد به ملازمة ثغر العدو، كأنهم قد ربطوا هناك فثبتوا ولازموه[5].

ورد في القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف بصيغ أخرى بمعنى ربط القلب و شدّه، و يستخدم هذا اللفظ أيضا بمعنى المواظبة على الشيء، ويبدوا أن استعمالات كلمة الربط كانت في القرن الأول هجري الموافق السابع ميلادي مرتبطة بالحروب القبلية، أي التجهيزات

1- آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8،بيروت، 1426هـ/ 2005م،ص .128

2-عمر أحمد سعيد، الإسلام في افريقيا، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط11،ليبيا، 1427هـ/2006م،ص 321.

3--هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن ابن الحكم، من خلفاء بني أمية، بويع له سنة 69هـ.ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ص .250

4- محمد بن سحنون، آداب المعلمين، تح: محمد عروسي المطوي، دار الكتب الشرقية، ط2،تونس، 1972،ص .33

5- أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج2، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979، ص 479.

الخاصة بالخيول المعدة للغزو (الجياد أو المكان الذي يجمع فيه الفرسان متأهبين للقيام بحملة من الحملات)[1]، وهو المعنى الذي نجده في سورة الأنفال:﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾**﴾[2]، أي الذين رفضوا اعتناق الإسلام و الخضوع لسلطة المدينة.

والرباطات مركز لانتشار الإسلام وتوطيد الفاتحين الجدد، ولعبت الرباطات دورين مركزا ثقافيا و حربيا، فالثقافي لتعليم الثقافة الإسلامية و المعارف الدينية، والحربي حسب بناءه الذي يشبه القلعة الحصينة[3]، فالرباطات في الأول كانت عبارة عن ثغور عسكرية .

كان يجتمع في الرباطات العاملون على ترسيخ مبادئ الإسلام، وتعليم العلوم النظرية كالفقه و التفسير، عن طريق القدوة الحسنة التي يعطيها الشيخ بواسطة الوعظ[4].

1-ناجي جلول، الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1999م، ص 15.

2-سورة الأنفال، الآية 60.

3-ناجي جلول، المرجع السابق،ص 10.

4-حسين أسكان المرجع السابق،ص 152.

الفصل الأول : علم القراءات في المغرب الإسلامي.

-المبحث الأول : تعريف علم القراءات و بداياته.

-المبحث الثاني : علم القراءات في دويلات المغرب.

-المبحث الثالث: علم القراءات في الأندلس.

كان الهدف من الفتح الإسلامي هو نشر الإسلام و توسيع رقعته و نشر مضمونه على أوسع نطاق، و تحبيب الوافدين الجدد في هذا الدين العظيم لأهل البلد، فكان المرجع الأصلي لهذا الدين هو كتاب الله تعالى "القرآن"، والذي تفرعت منه عدة علوم قامت على دراسته و تحليله والتدبر فيه، سميت بعلوم القرآن .

و مصطلح علوم القرآن يعني كل العلوم التي تعود بأصلها إلى القرآن الكريم، وإذا كان العلم هو مفرد العلوم أي إدراك الشيء على ما هو به، و لغة هو ضد الجهل، يقول ابن فارس عنه:" العين و اللام والميم أصل صحيح وأحد يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره"،فإن القرآن هو كلام الله تعالى القائم بذاته، المكتوب في مصاحفنا على الحقيقة دون المجاز' وبالتالي فإن القرآن يحتاج إلى تفسير و قراءة لفهم المراد منه ما جعل كثير من العلوم تنبثق منه بصفة مباشرة أو غير مباشرة.

فقد أخذ المسلمين القرآن الكريم و جعلوا منه علما و خصصوه بعدة فروع، و أهمها علم القراءات و علم التفسير .

المبحث الأول : تعريف علم القراءات و بداياته.

القراءات القرآنية من أهم علوم القرآن، صرف إليها العلماء الكثير من اهتمامهم من عهد الصحابة إلى عصرنا الحالي روايتا و تأليفا، و يظهر لنا أن موضوع القراءات شديد الصلة بنص القرآن

1-تعريف علم القراءات :

أ-لغـــــة:

القراءات جمع مفرده القراءة، وهي مصدر للفعل قرأ يقرأ أي :تلى ، يتلوا القرآن، و تتبع كلماته نظرا و نطق بها [1]، وتعني كذلك الجمع والضم فنقول : قرأت الماء في الحوض أي جمعته فيه، وسمي القرآن قرآنا، لأنه يجمع الآيات والسور ويضم بعضها إلى بعض.[2]

1- الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص 29.

2-عبد القيوم بن عبد الغفور السندي، صفحات في علوم القراءات، مكتبة الإمدادية، ط1، 1415،ص 6 .

ب–اصطلاحا:

هو مذهب يذهب إليه إمام من الأئمة القراء مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق، سواء كانت هذه المخالفة في نطق الحروف أو في نطق هيئاتها.[1]

وقد تعددت تعاريف العلماء و الأئمة للقراءات، حيث عرّفها الإمام الزركشي[2] بقوله:"هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل و غيرها"[3]، بينما عرفها ابن الجزري[4] في قوله :" علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها"[5].

2–نشأة علم القراءات:

مع تعاقب حركة التلقي والتلمذة لرواية القرآن الكريم نشأ بما يعرف بالقراءات القرآنية، وهذا في النصف الثاني من القرن الأول هجري، حيث عرف مجموعة من القراء الحافظين لهذا القرآن بسند صحيح متصل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم يلتقي معظمهم في الرواية إليه، أي للرسول صلى الله عليه و سلم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه[6].

1–محمد بن العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، تح:فواز أحمد زمرلي، ط1،دار الكتاب العربي، بيروت، 1995م، ص 336.

2–هو بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي الإمام العلامة، كهف الأئمة و الفضلاء، شيخ الإسلام وعمدة فضلاء الزمان . ينظر:الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، ج1،مرا: عمر سليمان الأشقر، ط2، دار النهضة للطباعة والنشر، الكويت، 1413هـ/1992م، ص 5.

3–الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1400هـ،ص 318.

4–هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، الشهير بابن الجزري شيخ الإقراء في زمانه، من حفاظ الحديث نشأ في دمشق (751-833هـ/1250-1429م). ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القرّاء، ج1،تح: برجستراسر، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت،2006م، ص07.

5– نبيل بن محمد ابراهيم آل اسماعيل، علم القراءات (نشأته، أطواره،أثره في العلوم الشرعية)، تقديم:عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، مكتبة التوبة، المملكة العربية السعودية، ص 27.

6– عبد الحليم بن محمد الهادي، القراءات القرآنية، تاريخها، ثبوتها، حجيتها، وأحكامها، تقديم، مصطفى سعيد الخن، ط1،دار الغرب الإسلامي، (د.ت)،1999م،ص 47.

وقد شمل هذا العلم على عشرة قراءات، بعد ذلك تم الاستقرار على سبعة قراءات وهي :

قراءة عبد الله الشامي توفي (118هـ/736م)، ابن الكثير المكي توفي (120هـ/738م)،عاصم الكوفي توفي (127هـ،745م)، أبو عمرو بن العلاء البصري توفي(145هـ/770م)، حمزة الكوفي توفي (156هـ/773م)، نافع المدني توفي (169هـ/785م)، الكسائي الكوفي، توفي(189هـ/804م).[1]

3-مراحل تطور علم القراءات :

لقد عرفت بلاد المغرب القراءات المنتشرة في الأمصار مما لا يخالف رسم المصحف العثماني(نسبة للصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه)[2]، و قرأوا بها مدة طويلة ، وخلال قدوم البعثة العمرية أصبحت القراءات توافق رسم المصحف العثماني.[3]مما عزز مكانتها و شأنها لدى أهل المغرب.

وقد تطور علم القراءات عبر ثلاث مراحل :

أ-المرحلة الأولى : نزول القراءات .

إن نزول سيدنا جبريل عليه السلام بالقرآن على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأحرفه السبعة كانت أول مرحلة لنشوء علم القراءات، إذ يعلم الرسول عليه الصلاة والسلام بمادته وحفظه، وبهذا فقد أُخذ عنه، فالمغاربة أخذوا عن الصحابة والتابعين الذين لقنوهم القراءات،

1-فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، تر:محمود فهمي حجازي، منشورات جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، الرياض،1411هـ/1991م،ص30.

2-هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، قرشي أموي، يجتمع هو النبي صلى الله عليه وسلم، هو ثالث الخلفاء الراشدين لقب "بذو النورين"، وأبو عمرو وأبو ليلى، لازم الدين، و استخلف عن الشورى في ستة أنفس. ينظر: محمد رضا، ذي النورين عثمان بن عفان الخليفة الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ت)، ص11. و أبو حاتم محمد بن أحمد بن حدان البستي، مشاهير علماء الأمصار، تع: مجدي بن منصور بن سيد الشورى، دار الكتب العلمية، ط1،بيروت،1416هـ/1995م،ص 11.

3-هند شلبي، المرجع السابق،ص 125.

وفي هذه المرحلة لم يقع التقيد فيها بمصر معين ولا قراءة معينة، فكل شيخ لقن القراءات لطلابه حسب ما كان عليه مصره المنتسب إليه.[1]

ب–المرحلة الثانية :مرحلة انتشار القراءات .

في هذه المرحلة تلقى المغاربة القراءات على البعثة العمرية، فقد كان منها جهد كبير في تكوين مدرسة القرّاء في إفريقية، أي أن دورهم تجلى في ترسيم القراءة على طريقة الحرف والرسم العثماني[2]، ولقد يقيدوا بالقراءة الرسمية التي أصبحت عليها الأمة الإسلامية أي القراءة التي كتبت عليها المصاحف العثمانية، حيث أصبحت رسمية، والمصاحف العثمانية كانت قابلة في حدود رسمها لأن يقرأ فيها بعدة حروف[3].

ج–المرحلة الثالثة : مرحلة تدوين علم القراءات.

المرحلة التي ترسخ فيها الانتماء أو قراءة نافع[4] برواية ورش وذلك لمكانته الرفيعة عند نافع أولا، ولقرب مصر من برقة وبلاد المغرب عموما ثانيا، فكان من الأيسر أن يأخذ المغاربة قراءة نافع عن تلاميذ الإمام ورشا[5]، فالمغاربة أخذوا بقراءة نافع لأنه شيخ الإمام مالك، وهذه ما سميت ببداية الاستقلال بالنظر إلى استقرار المغرب الإسلامي بهذه القراءة، وهذه القراءة استمرت إلى يومنا هذا متلازمة مع المذهب المالكي[6].

1–عبد الحليم بن محمد الهادي، المصدر السابق، ص 47.

2– بشير رمضان التليسي، الإتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي، دار المدار الإسلامي، ص 436.

3–نفسه.

4–نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم مولى جعونة بن شعوب الليثي، أحد القراء السبعة المشهوين أصله من أصبهان، قرأ على طائفة من تابعي أهل المدينة منهم عبد الرحمن بن هرمز الأعرج. ينظر:أبو علي الحسن بن محمد بن إبراهيم المالكي البغدادي،كتاب الروضة في القراءات الإحدى عشرة، ج1، تح: نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل، المملكة العربية السعودية، (د.ب) ص105.

5–هند شلبي، المرجع السابق، ص 123.

6–محمد عليلي، المرجع السابق،ص 298.

المبحث الثاني: علم القراءات في بلاد المغرب الإسلامي .

اهتمت دول بلاد الإسلامي بالعلوم الدينية اهتماما كبيرا، وقد بدأت بذرة هذه العلوم بانتقال بعض الصحابة و التابعين إلى مختلف أقطار بلادا لمغرب الإسلامي .

1-علم القراءات في المغرب الأدنى (دولة الأغالبة):

عرف علم القراءات تواجدا مبكرا في بلاد المغرب الإسلامي منذ عهد الفاتحين على أيدي الصحابة القراء الذين دخلوا إفريقية مع الولاة الفاتحين[1] ومنهم: أبي ذر الغفاري و عبد الله بن العباس و بعض التابعين ومن أشهرهم الذين وردوا في كتب التراجم الإفريقية عددا لا بأس بهم من الذين قدموا من المشرق، وقد ذكر المالكي سبعا و عشرين ممن استوطن افريقية و أضاف عشرا ممن بارحها.[2]

أما نوعية القرّاء و كيفيتها فقد كانت في البداية حرّة لا تتعلق ببلد معين ولا بقراءة المصحف العثماني، غير أن بدخول التابعين أصبحت القراءة عند الأفارقة بما يوافق الرسم العثماني[3]، ثم ساعدت قراءة حمزة بن حبيب الكوفي[4]، ولعل من جعل الشيوخ قراءة حمزة في إفريقية هو انتشار مذهب أبو حنيفة[5] .

1-ممدوح حسين، افريقية في عصر الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)،1417هـ/1997م،ص 69.

2-المالكي، المصدر السابق، ج1،ص64-65.

3-سعيد إعراب، القراء والقراءات بالمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1410هـ/1994م،ص 09.

4-حمزة بن حبيب بن عمارة بن الزيات، التميمي الكوفي، من علماء القراءات و الفرائض أحد أصحاب القراءات السبعة، ولد سنة 80هـ وأدرك الصحابة بالسن. ينظر:فؤاد سزكين، المرجع السابق، ج1،ص 31.

5-نسبة إلى المذهب الحنفي المنسوب إلى النعمان بن ثابت المعروف بأبي حنيفة ولد في 80 للهجرة في أيام الخليفة عبد الملك بن مروان، من أبناء فارس الأحرار .ينظر: وهبي سليمان غاوجي، أبو حنيفة النعمان إمام الأئمة الفقهاء، دار القلم، ط5، دمشق، 1413هـ/1993م،ص 47.

لقد شهد عصر الأغالبة ازدهارا في علم القراءات حيث اقتصرت إفريقيا على حرف ووجه واحد في القراءة[1]، إذ يعتبر قاضي إفريقية عبد الله الرعيني المالكي(128-190)هـ/(745-805)م أشهر مقرئ في نهاية عصر الولاة وبداية حكم الأغالبة، فقد سمع تلاوته سفيان الثوري و استحسنها و شهد له بالضبط والبعد عن اللحن فيها[2].

إن الاهتمام الخاص بعلم القراءات في عهد دولة الأغالبة[3] بدأ في عهد الإمام سحنون الذي حمل لواء المذهب المالكي بعد أن أخذه عن أعلامه[4]، فقد كان يتحدث عن التعليم بالكتاتيب و يعلمهم ما تعلم من القراءات الحسنة[5]، وكان يلازمه الفقيه أحمد بن متعب بن أبي الأزهر الأزدي ت:(277هـ/890م) من المشتغلين في القرآن، فقد كان سحنون لا يأمر المقرئ بالتلاوة إلا في حضوره لمعرفته بأحكام التلاوة.[6]

و من أشهر علماء القراءات في إفريقية أبو يحي زكريا بن يحي بن إبراهيم بن عبد الله المعروف بالوقار وهو مصري الأصل قدم إلى افريقية سنة 205هـ، وذكر ابن فرحون أنه قرأ القرآن على نافع المدن [7]وعنه أخذ أبو عبد الرحمن المقرئ بحرف نافع بن أبي نعيم[8]، و محمد بن برغوث روي عنه القراءة (توفي: 272هـ،885م) الذي كان مكلفا بالقراءة في جامع القيروان، وهو من تلاميذ من

1-المالكي، المصدر السابق،ج1،ص215-.216

2-هند شلبي، المرجع السابق، ص 232.

3-دولة عربية مسلمة كان منهجها في الحكم إدماج البربر في العرب و تحويل نشاطهم إلى الخارج والتعالي عن مناوات البلاد المنفصلة عنها كالمغرب الأقصى والأندلس. ينظر: عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق،ص 203.

4- يوسف بن أحمد حوالة، الحياة العلمية في إفريقية، جامعة أم القرى،ط1، المملكة العربية السعودية، 1421هـ/2000م، ص224.

5-هند شلبي، المرجع السابق،ص 224.

6-حسين بن محمد شواط، المرجع السابق،ص 136.

7-يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق،،ص 411.

8-نفسه.

أسد بن الفرات[1] في الفقه[2]، وأبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني البغدادي الذي تولى الكتابة في عهد الفاطميين و الأغالبة خاصة في عهد الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب، كما كان له أهمية بين الأفارقة، سمع من العديد من المحدثين والفقهاء و النحويين في بغداد.[3]

ويعتبر محمد بن عمر بن خيرون المعافري الأندلسي القروي (ت: 306هـ/918م) المؤسس الحقيقي لقراءة الأفارقة برواية نافع[4] بعد أن استقر في القيروان عائدا من رحلته العلمية المشرقية و وجد فيها القراء على منهج حمزة في تلاوة القرآن، ولم يكن يقرأ بقراءة نافع إلا القليل، فتمكن من جلب اهتمام أهل افريقية نحو قراءة نافع ونال اهتمام القرّاء و ترك في علم القراءات مصنفين: الإبتداء و التمام، والألفات و اللاّمان[5]، كما أن القراء المغاربة عرفوا القراءات المختلفة ولكنهم لم يكونوا يركزون على قراءة نافع، فإن خيرون يعتبر من أعمدة وشيوخ القراءات، فالفضل في تثبيت قراءة نافع في إفريقية والمغرب الإسلامي يعود له.

إنّ أهل المغرب الأدنى عرفوا معظم القراءات، ولكنهم اقتصروا على قراءة نافع لأن نافعا كما هو معروف إمام قراءة المدينة المنورة، وقد عرفنا من قبل شدة تعلّق المغاربة بأرض الحرمين، مكة والمدينة[6].

فمع ظهور المذهب المالكي في القيروان ساد انتشار قراءة نافع التي قال عنها الإمام مالك قراءة أهل المدينة سنة قيل له قراءة نافع قال : نعم و قد تلقى مالك القراءة عرضا و سماعا عن نافع[7]،كما أن نافع شيخ الإمام مالك بن أنس إمام المذهب المالكي، وكان يصلي خلفه بينما

1-أبو عبد الله أسد بن فرات من تونس حفظ القرآن الكريم، قابل الإمام مالك، درس مذهب أهل الحديث في المدينة المنورة، و مذهب أهل الرأي في بغداد .ينظر: شوقي أبو خليل، فتح صقلية، ط1،دار الفكر، دمشق(سوريا)،1980م،ص67-.68

2-الدباغ،المصدر السابق،ج2،ص 237.

3-هند شلبي، المرجع السابق، ص 282.

4-ابن الجزري، المصدر السابق،ج2،ص 93-94.

5-نفسه، ص 191.

6-يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ص 406.

7- ابن الجزري، المصدر السابق، ج2، ص330-331.

كان نافع يأخذ عن مالك موطأه، ومن هنا كان من الطبيعى أن يهتم أهل افريقية بقراءة أو مدرسة نافع في القرآن الكريم.[1]

يرى مالك بن أنس أن نافع هو إمام الناس في القراءة، وقد ذكر ابن الجزري عن الإمام قوله:" قراءة أهل المدينة سنة" [2]، فمع انتشار المذهب المالكي في القيروان ساد انتشار قراءة نافع. [3]

لقد مثلت المراكز العلمية كالمساجد و الكتاتيب دورا هاما في نشر علوم الدين والسنة،وتدريس مختلف العلوم الشرعية وعلى رأسها علم القراءات وتلاوة القرآن.

أ–المساجد:

هو المؤسسة التعليمية التي عرفت في الإسلام على يد رسول الله صلى الله عليه وسلّم ثم الصحابة[4]، ويعتبر أعظم مسجد هو الذي بناه عقبة بن نافع الفهري عندما اختط مدينة القيروان، فهو معهد للإسلام بإفريقية، ولعبت المساجد دورا كبيرا في نشر العلوم النقلية في عهد الأغالبة وعلى رأسها علم القراءات، كما أن هناك لكثير من التابعين مساجدا عرفت بنسبها إليهم وخاصة أعضاء البعثة العمرية التي أرسلها عمر بن عبد العزيز، فهنا يمكن القول أن المادة العلمية التي تُلقى في المساجد شاملة لتحفيظ القرآن الكريم و تلاوته[5].

ب–الكتاتيب:

شهدت إفريقية ظهورا للكتاتيب مبكرا، منذ أن وطأت أقدام المسلمين أرض بلاد المغرب،وكان الهدف من إيجادها هو تنشأة الصبيان نشأة دينية[6]، فكان لقد كان المنهج المتبع في الكتاب هو قراءة القرآن الكريم فمنه يعلمون الطالب القراءة و أصول الدين و التلاوة الجيدة لسور القرآن الكريم، و قد ورد في كتاب آداب المعلمين لمحمد بن سحنون عندما كان يتحدث عن التعليم

1–يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ص406.

2–ابن الجزري، المصدر السابق، ج2،ص333.

3–هند شلبي،المرجع السابق، ص226.

4–حسين بن محمد شواط، المرجع السابق،ص129.

5–نفسه،ص ص 131–133.

6–يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق،ص 226.

بالكتاب ما نصه : و يلزمه(أي المعلم) أن يعلمهم ما علم من القراءات الحسنة، وهو مقرأ نافع، فقد كانوا يقرؤون أهل إفريقيا بحرف نافع[1].

والكتاتيب كانت تنتصب إما في المساجد وإما في أماكن خاصة، أو في المغرب عموما كانت في البادية ملحقة غالبا بمسجد، أما في المدن فقد كانت ملحقة بها أو مستقلة، والكتاتيب الخاصة هي التي كانت تنتصب في قصور الأمراء والوزراء، والعامة هي التي كانت تنتشر في الزوايا وأركان المدينة التي يقوم عليها معلم أو مؤدب يشترط فيه حفظ القرآن[2].

2-علم القراءات في المغرب الأوسط (الدولة الرستمية):

برزت تيهرت في المجال العلمي و اعتبرت أولى حاضرة ثقافية و سياسية في المغرب الأوسط، فلقد كان وضع هذه المدينة بصفتها العاصمة السياسية و الاقتصادية للدولة الرستمية[3] كفيلا بأن يجعلها أقدم مركز ثقافي، وقد أسهمت مجموعة من العوامل منها في تشجيع الأئمة الرستميين و اهتمامهم بالثقافة و عنايتهم بالفكر، فالأئمة نفسهم من العلماء البارزين والذين حازوا نصيبا وافرا من العلم على رأسهم مؤسس الدولة الرستمية عبد الرحمن بن رستم[4] الذي عاش في أسرة محبة

1-بشير بن رمضان التلبسي، المرجع السابق،ص ص 367-.369

2-يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق،ص 226.

3- الدولة الرستمية : أسسها عبد الرحمن بن رستم (160-296هـ/777-909م)، والمذهب الإباضي كان هو مذهبها الرسمي، وهذه الدولة في المغرب الأوسط وعاصمتها تيهرت . ينظر: محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية في المغرب الإسلامي حضارتها و علاقاتها الخارجية بالمغرب و الأندلس، ط3،دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987، ص 73-74.

4- ولي تيهرت في 160هـ و مناك من يقول 162هـ، وهو من أصل فارسي، وذكر بعضهم أنه من أعقاب رستم قائد جيش الفرس في معركة القادسية، بينما يرفع البعض الآخر نسبه إلى بهرام كور كسرى فارس، وكان ابن رستم مولى لعثمان بن عفان ثم وفد مع العرب الفاتحين إلى المغرب . ينظر: أبو زكريا يحي بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة و أخبارهم، تح: إسماعيل عربي،دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان) 1399هـ/1979م،ص 81. وعبد العزيز سالم، تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة و النشر والتوزيع، الإسكندرية، ص 452.

للعلم،لأن شروط تولي الإمامة عند الإباضين [1]يجب أن يكون المبايع عالما محيطا .بالعلم و المعرفة.

لقد أخذ عبد الرحمن بن رستم العلم من المشرق و حمله إلى بلاد المغرب[2]، ولعل الجو العلمي الذي كان سائدا في الأسرة الرستمية الحاكمة أثّر إيجابا على المجتمع التاهرتي ما أدى إلى بروز فئة من العلماء الأجلاء في مختلف المجالات أهمها التي حملت مشعل العلم في الأوساط الرستمية حيث يقول ابن خلدون :" أعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر و يتبادلونها في الأمصار تحصيلا وتعليما هي على صنفين صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره و صنف نقلي يأخذه عن وضعه، فالثاني هي العلوم النقلية الوصفية وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواقع الشرعي ولا مجال فيها للعقل".[3]

ومن أفضل العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم هي علم القراءات، لكن هذا العلم في تيهرت لم تشر إليه المصادر التي رجعنا إليها من التأليف في هذا العلم رغم وجود أئمة جودوا ورتلوا القرآن في المساجد طبقا لما جاء في الآيات الكريمة والتي تتحدث عن ترتيل القرآن كقوله تعالى:﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾[4]، وكذا قوله تعالى:﴿ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢ ﴾[5].

لكن رغم هذا إلا أن ابن الصغير أشار لبعض القرّاء عندما تحدث عن الإمام يقظان و ضرب سرادقه[6]،ولقد قال ابن الصغير: حضرت لهم خطبا كثيرة أولهم ابن بديس، والثاني أحمد التيه، و الثالث أبو العباس بن فحنون، والرابع عثمان بن الصفار، والخامس أحمد بن منصور،

1- فرقة من الفرق الإسلامية يرجع بروزها إلى النصف الثاني من القرن الأول هجري ونسبة إلى عبد الله ابن إباض التميمي الذي كان في الحقيقة لا يصدر في أمره إلا عن الإمام جابر بن زيد الأزدي التابعي، اشتهرت الإباضية ضمن فرق الخوارج. ينظر: ابراهيم بحاز، الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، المطبعة العربية، غرداية، ص 73.

2-مجلة الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، دار الغرب للنشر والتوزيع، العدد8، 1423هـ/2002م، ص 128-129

3-عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله محمد درويش، ط1، دار البلخي، دمشق، 1425هـ/2004م،ص171.

4-سورة المزمل،الآية4.

5-سورة الفرقان، الآية32.

6- إبراهيم بحاز، المرجع السابق،ص303.

وسمعت أحمد التيه يقرأ بعد الفراغ إلى أن بلغ ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴾[1].

يبدو أن هؤلاء القرّاء، يقصد بهم حفظة القرآن لا غير وذلك على غرار ما كان متداولا في صدر الإسلام دون النظر، إلى اختلاف الحروف و غير ذلك من الأمور في علم القرآن[2]، والتي لم تكن معروفة في هذه الفترة على أكبر تقدير و إذا كان هذا شيء موجودا فإنه لا يتعدى بعض الاختلافات في نطق بعض الألفاظ و الكلمات[3]،و ربما يشير ابن الصغير عندما ذكر و بتحفظ أن خطباء الإباضية ربما حرفوا اللفظ في موقعه ليقيموا الأمر الذي يريدون[4].

2-1-المؤسسات التعليمية في الدولة الرستمية:

تعددت و تنوعت مراكز ومؤسسات التعليم في الدولة الرستمية كما احتوى البيت التيهرتي على علوم كثيرة و متنوعة وتنوعت حلقات العلم عندهم.

أ-المساجد:

لا شك أن المساجد كانت أهم مؤسسة تعليمية في الدولة الرستمية، حيث قام عبد الرحمن ابن رستم ببناء المسجد الجامع عندما شرع في بناء مدينة تأويه و تأوي الإباضية[5]،، فكان للمسجد دور تعليمي وتثقيفي إضافة إلى إقامة الشعائر الدينية، وقد كانت المساجد كثيرة في تيهرت وفي مدن جبل نفوسة، كما كان لكل مجموعة مذهبية مسجدا خاصا بها مثل جامع الكوفيين و القيروان و البصريين[6].

1-سورة طه،الآية 4.

2- خليل داود الزرو، الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، ط1،دار الأفاق، بيروت، 1971،ص 33.

3-إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 303.

4-ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر و ابراهيم بحاز، ديوان المطبوعات الجميلة، 1986، ص 105.

5-ابراهيم بحاز، المرجع السابق،ص 275.

6-ابن الصغير، المصدر السابق،ص 32.

ب–الكتاتيب:

يذكر إبراهيم بحاز أن المعلومات الخاصة بهذه المدرسة جد منعدمة و يعتبرها اللبنة الأولى في التعليم في المغرب وهو من أشهر أنواع التعليم الإبتدائي، فكان الصبية يتلقون دروسا دينية بحتة و يحفظون القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الشريفة بطريقة التكرار و الترديد وراء الشيخ[1].

وكانت هذه الكتاتيب عبارة عن حجرات صغيرات مجاورة للمساجد مخصصة لتعليم الصبيان الصغار بدلا من تدريسهم في المساجد المخصصة للصلاة حفاظا على طهارتها[2].

ويبدوا أن التلاميذ في الكتّاب كانوا يكتبون دروسهم على لوح من خشب وذلك ربما لندرة الأوراق في ذلك الحين، وتذكر المصادر الإباضية أن أول من علم القرآن بجبل نفوسة رجلا يدعى عمر بن يمكتن[3]، وقد تعلمه وهو في طريق مغمداس يتلقى فيها العرب القادمين من المشرق في زمان قلت فيه نسخ الكتاب الكريم و استند فيه حرص البربر على التعلم و التلقي لدينهم الجديد[4].

ج–المكتبات:

تقوم المكتبات بدور ريادي في تنشيط عجلة الفكر النّير و العلم المتوقد، و تغذية الحركة العلمية و دفعها للأمام، ولعل هذه المكتبات كانت نتاج عمل و جهد الأئمة ومن بينهم عبد الوهاب[5]،حيث أنه بعث ألف دينار إلى إخوانه من أهل المشرق بالبصرة لأن يشتروا له بها ورقا، فنسخوا له أربعين حملا من الكتب، و بعثوا بها إليه، فلما جائته نشرها و قرأها حتى أتى إلى آخرها و لعل ما زاد في إثراء المكتبات الرستمية هو نسخ عمروس بن فتح[6]، لمدونة أبي غانم بشر بن غانم الخرساني، وبالتالي كانت عملية هذه النسخ مثالا من بين العديد من النسخ التي قاموا بها آنذاك[1].

1–إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 276.

2–محمد بن سحنون، المصدر السابق، ص37–38.

3–ساد أهل زمانه علما و عملا، سارع إلى الخيرات، حفظ القرآن وعلمة استشهد مع أبو الخطاب. ينظر:أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي،اليسر، ج1، تح: أحمد بن سعيد السيابي، مطبعة النهضة، عمان، ط1، 1407هـ/1987م، ص.127

4–إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 277.

5–هو ثالث الأئمة الرستميين (200–258هـ). ينظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص40.

6–من أعلام أهل زمانه النفوسيين (250–300هـ)، ابن الصغير، المصدر السابق، ص51.

2-2-مراحل التعليم في الدولة الرستمية:

مرّ التعليم في الدولة الرستمية بثلاث مراحل وهي:

أ-مرحلة التعليم الأولية:

وهي ما توافق التعليم الإبتدائي، يشمل تحفيظ القرآن الكريم و المبادئ الأولى للفقه، يتعلم فيه التلاميذ الصغار عن طريق الألواح، أي أنه يقتصر على الكتاتيب و يخص الأطفال و الصبيان[2].

ب- مرحلة التعليم الوسطى:

وهي ماتوافق التعليم الثانوي، يشمل العقيدة و الفروع والأدب، يعتمد فيه الطالب على الكتب، وهو النوع الثاني من مراحل التعليم، يتأكد من نص أبي زكريا عن عبد الله الشكاس:" فنشأ الغلام فلما احتمل الأدب أدخله ابوه في الكتاب، فقرأ و حفظ، فلما اشتد وبلغ الحلم سولت له نفسه طلب العلم[3].

ج- مرحلة التعليم المتقدم:

كان التعليم مجانا مباحا للذكور والإناث في هذه المرحلة يعتمد على الحفظ أكثر من العقل[4].

ولقد ظهرت فئة من العلماء والفقهاء و الأدباء في هذه الحلقات، ومنهم كان الشيخ أفلح بن عبد الوهاب[5] الذي كان على قدر كبير من العلم والفقه واللغة، كما كان ابن الضغير يقول عن ذلك من أتى إلى الإباضية قرّبوه وناظروه ألطف مناظرة، فقد كان المسجد الجامع بتيهرت أهم مركزا لتعليم وتلقين الفقه الإباضي،وعقد اجتماعات و تدارس أوضاع الأمة باجتماع أعيان القبيلة وهذا ما قام به عبد الرحمن ابن رستم عندما جاره وفد من إباضية المشرق (البصرة) فجمع أعيان كل قبيلة

1-إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص289.

2-نفسه، ص .277

3-أبو زكريا، المصدر السابق، ص 134.

2- عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962، ج1،مرا: عبد العزيز بوشعيرات، دار المعرفة، الجزائر، ص97.

5-تولى الإمامة بعد وفاة أبيه بنحو شهر في 171هـ،كان موضعا للرضا من الجميع، تميز ببلوغه درجة علمية رفيعة، دامت 40 سنةّ. ينظر:محمد عيسى الحريري،المرجع السابق، ص 143. و أبو زكريا، المصدر السابق،ص 87.

ينوبون أفراد القبائل من أجل النظر في موضوع ما[1].

المبحث الثالث: علم القراءات في الأندلس (الدولة الأموية):

إنّ من نعم الله عزّ و جلّ على المسلمين هو قيام دولة لهم بالقارة الأوروبية منذ ثمانية قرون، عُرفت بدولة الأندلس، قامت خلالها حضارة عريقة لم يشهد التاريخ لها مثيلا، حكم القرآن أهل تلك البلاد فوحّد كلمتهم، و نظم شؤون حياتهم ووضع بين أيديهم علوم كثيرة .

1-دور الفاتحين في إدخال القرآن الكريم إلى الأندلس :

لما منّ الله سبحانه وتعالى على المسلمين بفتح الأندلس[2] كان ضمن الجيش الفاتح موسى بن نصير جملة من الفاتحين الذين دخلوا لتفقيه أهل ذلك البلاد المفتوح و تعليمهم مبادئ الدين الإسلامي، ومنهم من استمر مقامه بالأندلس وبنى دارا و مسجدا و قد أوردت التراجم الأندلسية وغيرها عددا لا بأس به من التابعين القادمين من الشرق منهم:

-موسى بن نصير: فاتح الأندلس وكان أول شيء قام به هو بناء مسجد الجزيرة الخضراء[3] في الأندلس، كل ذلك ليكون مكانا للصلاة ولتعليم كتاب الله عز وجل، و أقل شيء يمكن أن يذكر السور التي يقرؤون بها في صلاوتهم مما يتعلمها الداخلون لهذا الدين الجديد أو يعلمونهم إياها ليقيموا أمر صلاتهم[4].

-حنش الصنعاني:[1] هو حنش بن عبد الله، ويقال :ابن علي بن عمروا بن حنظلة، أبو رشيدين الصنعاني، من من صنعاء دمشق[2] فقد دخل مع رويفع بن ثابت رضي الله عنه بنية الغزو وقد نزل

1-إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص.30

2-عرفت بالجزيرة الإيبيرية الأندلسية، وهي جزيرة العرب، محاطة بالبحر الأبيض المتوسط، الجماعة الأولى التي استوطنوها سميوا بالوندال، إسم الأندلس أطلقه العرب عليها. ينظر :شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية، ج1، ط1،المطبعة الرحمانية، مصر، 1355هـ/1636م، ص 31. و محمد محمد زيتون،المسلمون في المغرب والأندلس،الهيئة العامة للمكتبة الإسكندرية،ط1، 1411هـ/1990م،ص 149.

3-سميت الخضراء لكثرة بساتينها، وكانت مدينة كبيرة قديمة فيها آثار وهي على نهر السلف. ينظر : سعد زغلول عبد الحميد، الإستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية العامة،العراق، (د.ت)،ص 171.

4- عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)،ص 108.

عليه عبد الملك بن مروان سنة 50هـ/670م عندما غزا إفريقية و استقر بالقيروان ولم يتركها حتى مرافقته موسى بن نصير ليشهد معه فتح الأندلس، روى ابن حسن بن عباس و عبد الله بن عمروا فقد كان حافظا لكتاب الله عز وجل و يلجأ إلى المصحف للتأكد من صحة تلاوته[3].

-علي بن رباح اللخمي: هو علي بن رباح اللخمي المصري يعتبر راوي ابن عباس، كما روى عن عمرو بن العاص و فضالة بن عبيد وقد كان له اهتمام كبير بالقرآن إلى جانبه اهتمامه برواية الحديث، فقد أورد عن شرجبيل بن حسنة قراءة لم ترد في الكتب المعتمد وهي:﴿ *ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ* ۝١ ﴾[4].

مما لا ريب فيه أن علي بن رباح قد ترك أثرا كبيرا في الأفارقة و الأندلسيين وذلك لأنه سكن القيروان و ابتنى بها دارا و مسجدا و جلس لتفقيه القرويين و قرأ القرآن وأقرأه إلى أن توفي سنة 117هـ.[5]

1- عبد العزيز الثعالبي،المصدر السابق، ص 41.

2-دمشق الشام : مدينة مشهورة، وهي جنة الأرض بلا خلاف لحسن العمارة ونضارة البقعة و كثر فاكهتها و نزاهة رقعتها و كثرة مياهها، بنيت دمشق على رأس ثلاثة آلاف ومائة و خمس و أربعين سنة على يد جيرون بن سعد بن عاد بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام. ينظر: أحمد بن يعقوب بن إسحاق الملقب باليعقوبي،البلدان، تح: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، لبنان،.162

3-هند شلبي، المرجع السابق، ص 114.

4- سورة محمد، الآية 01.

5-هند شلبي، المرجع السابق، ص 113-114.

2-1بداية الالتزام بقراءة قرآنية موحدة:

توجه الأندلسيون منذ البدايات الأولى إلى المذهب المالكي، وذلك لكي يستمدون منه ثقافتهم الفقهية، وكذلك فعلوا فيما يخص و يتصل بالقراءات القرآنية، فكانت قراءة الإمام نافع الذي اعتبر قارئ أهل المدينة[1].

وكان الغازي بن قيس أول من أدخل قراءته إلى الأندلس وذلك بعد الحج و أخذ القراءة عرضا و سماعا عن نافع بن أبي نعيم قارئ المدينة المنورة، وصحح مصحفه على مصحف نافع ثلاث عشرة مرّة[2].

لقد تأصلت هذه القراءة في بلاد الأندلس منذ ذلك الوقت ومن أسباب تأصلها :

أ-انتشار المذهب المالكي في الأندلس:

رحل علماء الأندلس إلى المدينة فلما رجعوا إلى الأندلس وصفوا فضل مالك وسعه علمه وجلالة قدره فعظموه[3]، ويروى عن مالك بن أنس أنه قال :قراءة أهل المدينة سنّة، قيل له:قراءة نافع؟ قال:نعم وقال مالك أيضا: نافع إمام الناس في القراءة فمن هنا مالك بن أنس شيخ في الفقه[4]ونافع بن نعيم شيخ في القراءة.

ب- إجلال الخليفة عبد الرحمن للغازي بن قيس [5]:

1-نبيل بن محمد إبراهيم آل اسماعيل، المصدر السابق، ص .304

2- ابن الجزري، المصدر السابق، ج2، ص 02.

3-أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج4، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388ه/1968، ص61

4-الفقه هو علم . وإدراك علم الشيء وفهمه، عرّفه الجوهري في قوله:"فهمت الشيء فهما علمه".ينظر : الزركشي، المصدر السابق، ص 19.

5-غازي بن قيس أبو محمد الأندلسي، إمام جليل، مؤدب بقرطبة وهو أول من أدخل قراءة نافع في الأندلس، أخذ القراءة عن نافع بن أبي نعيم، توفي:199ه، ينظر: نبيل بن إبراهيم آل إسماعيل، المصدر السابق،ص 307.

ان الخليفة عبد الرحمن يجل الغازي بن قيس إجلالا كبيرا، بل كان يصله في منزل[1]، وقد ساهم في نشر القراءات بعده إبنه عبد الله[2]، الذي أخذ القراءة عن والده وكان بصيرا بها، على أن القراءة التي كانت في الأندلس بعد ذلك هي التي قرأ بها أشهر تلاميذ نافع وهو عثمان بن السعيد المصري القرطبي المعروف بورش[3].

ومن الذين أوصلوا قراءة ورش إلى أقصى بلاد المشرق ومن أمثلة القرطبي هو مقرئ كان بالورشي نسبة إلى قراءة الإمام ورش لاشتهاره بها و تذكر المصادر أنه ذهب إلى خرسان، و مكث فيها لغاية وفاته سنة 393هـ[4].

فكان اجتماع عامة الناس والعلماء منهم على الإستقرار بمذهب واحد و قراءة واحدة، فكان مذهب الأندلسين هو المذهب المالكي، أما القراءة القرآنية فكانت قراءة نافع، وهكذا بقت قراءة ورش إلى غابة بلوغ الفرن الثالث هجري[5].

1--أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين، **تح**: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف،ط2، مصر 1973، ص .254

2- هو عبد الله بن الغازي بن قيس، أبو عبد الله الأندلسي القرطبي من أهل العلم بالعربية و الشعر، أخذ العلم بالعربية و الشعر و أخذ القراءة من أبيه، **ينظر**: ابن الجزري، المصدر السابق، ص440-.441

3- هو العلامة عثمان بن سعيد بن عمر الأموي، مولاهم القرطبي، الإمام المعلم والمعروف في زمانه بابن الصيرفي،قارئ مصر ولد 110هـ، نقل عنه أبو الأشعث عامر بن السعيد، والخرسي. إبراهيم المالكي البغدادي، المصدر السابق،ص 108.و ابن الجزري، تقريب النشر في القراءات العشر، تح: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية،ط1،بيروت،1423هـ/2002م،ص .23

4- هند شلبي،المرجع السابق، ص.286

5- المقري، المصدر السابق،ج2،ص248.

2-2مراحل تطور القراءات القرآنية في الأندلس:

أ-دخول و استجلاب بعض الكتب القراءات من المشرق:

كان الأندلسيون على اهتمام كبير بعلم القراءات القرآنية، وحرصهم على تعلم هذا العلم و نشره ببلادهم خدمة لكتاب الله، وقد دخلت إلى بلادهم بعض المصنفات في علم القراءات واستجلبوا بعضهم البعض كتبا في هذا العلم[1]، ولعل أهم و أوّل كتاب مشرقي كان سبيل أهل الأندلس إلى معرفته هو كتاب "السبع قراءات" لأبي أحمد بن موسى بن مجاهد[2]، فقد أخذ أهل الأندلس القراءات المشرقية منه[3].

ب-إنشاء المدارس لتعليم القراءات:

كان من اهتمام الأندلسيين بعلم القراءات القرآنية وحرصهم على دراستها بناء مدارس خاصة بهذا العلم، فلما خلف الحكم المستنصر أباه على حكم الأندلس واصل اهتماماته باستدعاء العلماء المشارقة المنقطعين لهذا العلم من العلوم.

كان أبو الحسن الأنطاكي[4]على رأس علم القراءات وكانت له مدرسة خاصة يدرس فيها طلابه العلوم القرآنية و التجويد و الفقه واللغة العربية و القراءات[5]، ويقال أنه كانت أغلب حلقات

1-هند شلبي، المرجع السابق، ص.114

2- هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي، أول من سبع السبعة، قرأ على عبد الرحمن، و قرأ عليه إبراهيم بن أحمد، توفي :324هـ، ينظر: ابن الجزري، المصدر السابق، ج1،ص 139.

3-أنجل جنتالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د.ت)، ص 405.

4--أبو الحسن الأنطاكي قرأ بالروايات عن أبي الفتح بن بنذهن و أبي الفرج غلام، كان من أحفظ أهل عصره للقراءات والشواذ، مع ذلك حفظ تفسيرا كثيرا ومعاني جمة وعللا يسرد في ذلك سردا.ينظر: شمس الدين بن علي أحمد الداودي،طبقات المفسرين، ج1،دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ت)، ص137.

5- محمد بن يوسف بن حيان النحوي المعروف بأبو حيان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تح: محمود علي مكي، دار إحياء التراث، ط1، القاهرة (مصر)،1415هـ/1994م،ص 10.

العلم في المساجد ولم يكن للأندلسيين مدارس ومعاهد بل كان المسجد هو الذي يقوم بهذا الدور، و كانت منازل المعلمين هي الوجهة الثانية حيث كان الطلبة يقصدونه ليأخذوا العلم منه، فالمسجد لعب دور في تعليم الأندلسيين والأمثلة كثيرة في كتب التراجم والطبقات الأندلسية .

فكان انشاء المدارس في علوم القرآن في هذه الفترة، أي أن هذا العلم قد اكتسى صفة نظامية في التدريس مما يكون له الأثر البالغ في انتشاره[1]، فالنوعية التي حظي بها علم القراءات بعد مجيء الأنطاكي تطورت بعد أن كان الأمر مقتصرا عند الأندلسيين على رواية ورش عن نافع فقط، فأصبح هذا العلم فيما بعد بصفة نظامية إلى رواية ورش.[2]

ج–رحلة طلاب العلم إلى المشرق لتعلم علم القراءات:

كان فضل الله تعالى على الأندلسيين في تنبيههم إلى الاهتمام بعلم القراءات القرآنية، ويرجع المقام الأول لأبوا الحسن الأنطاكي، و تجلت ثمرات جهده في عدد من طلبة العلم الأندلسيين الذين لم يكتفوا بما أخذوه عن هذا النسخ، فرحلوا إلى الحجاز وإلى مصر التي كانت في ذلك الوقت من أهم مراكز هذا العلم من علوم الدراسات القرآنية، ومنهم : المقرئ الطلمنكي[3]، فقد أخذ القراءات عن أبي الحسن الأنطاكي، رحل إلى مصر و مكة و المدينة وقرأ على مجموعة من الشيوخ و انصرف إلى الأندلس بعلم كثير، والتزم الإمام بالمسجد حيث كان يقرئ الناس محتسبا، وظل منقطعا للتدريس إلى أن توفي، حيث قال عنه ابن الجزري:" وكان أول من أدخل القراءات إليها[4]، كانت رحلة أخرى لزياد بن عبد الرحمن الملقب (شبطون) الذي رحل إلى المشرق و ينسب إليه أنه كان أول من أدخل موطأ الإمام مالك[5].

1- هند شلبي، المرجع السابق،ص 40.

2–نفسه،ص 40–41.

3– نسبة إلى طلمنكة وهي مدينة في وسط بلاد الأندلس من أعمال طليطلة من أعمال الإفرنج، إختطها محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بم معاوية. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت،(د.ت)، مج4،ص.39

4–ابن الجزري، المصدر السابق،ج1، ص.120

5– بشير رمضان التلبسي، المرجع السابق،ص 71.

كثرت المراكز العلمية في الأندلس كالمساجد والكتاتيب التي لعبت دورا هاما في الناحية التعليمية، فقد كان الطلاب يتلقون مبادئ العلوم وحفظ القرآن الكريم فيها .

إن نجاح رحلة الأندلسيين لطلب علم القراءات في بلاد المشرق يعود إلى أن تلاميذ الأنطاكي قد استجابوا لرأي لشيخهم على التزود من هذا العلم و رحيلهم إلى المشرق الأخذ به كاملا و العودة إلى بلاد الأندلس و نشره. فكل هذا الفضل في علم القراءات في الأندلس كان للأنطاكي و تلميذه وهو الإمام أحمد بن عمر الطلمنكي[1] و ظل هذا الأخير يعلم الناس فن علم القراءات لآخر عمره.

وفي الأخير يمكن القول بأن علم القراءات لقي انتشارا واسعا في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس بفعل مجهودات علماء القراءات ، وقد كانوا كُثُراً ويعتبر ذلك مظهرا من مظاهر اهتمام الأغالبة و الرستميين بهذا العلم مع أنّ دولة الأدارسة التي تزامنت معهما كانت أقل شأنا منهما، بل يمكن القول إن هذا العلم كان شبه منعدم وذلك للظروف السياسية التي عاشها الأدارسة وشابها الكثير من الاضطرابات السياسية التي عرقلت تطور الحركة العلمية عكس ما كان لدى الأغالبة و الرستميين.

والأمويون في الاندلس من جانبهم اهتموا غاية الإهتمام بهذا العلم و لعل مبعث ذلك يعود إلى تبنيهم للمذهب المالكي علما أن الإمام مالكا كان تلميذا لنافع، .وهذه في رأينا هي أقوى الأسباب التي دفعت الدولة الأموية في الأندلس لأن تعزز و تهتم بكل علم له صلة بالإمام مالك.

1- أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى بن يجي، الإمام أبو عمر المعافري الأندلسي الطلمنكي، المقرئ الحافظ، نزيل قرطبة، قرأ بالروايات عن أبي الحسن الأنطاكي، وروى عن أبي عيسى يجي بن عبد الله الليثي. ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار، تح:طيار آلتي قولاج، سلسلة عيون التراث الإسلامي، إسطنبول (تركيا)، 1416هـ/1665م، ص 733.

الفصل الثاني :علم التفسير في المغرب الإسلامي .

- **المبحث الأول : علم التفسير؛ تعريفه، مراحله، أهميته.**
- **المبحث الثاني :علم التفسير في دويلات المغرب الإسلامي**
- **المبحث الثالث: علم التفسير في الأندلس.**

إنّ من أشرف ما تبُذل فيه الجهود، وتسدد فيه العزائم، وتوجه إليه الاهتمامات هو خدمة كتاب الله وسنة نبيه، إذ أنهما مصدر شرع الله الحكيم، وحبلُ الله المتين، ولعل تفسير آيات القرآن الكريم أفضل منطلق لتحقيق هذه الغاية لفهم القرآن الكريم .

1-المبحث الأول :تعريف التفسير و أهميته.

اعتنى أهل المغرب الإسلامي بتفسير آيات القرآن الكريم، وذلك لاعتباره المصدر الأول للتشريع وفهم أحكامه، وكل ما تعلق بأمور الناس في دينهم ودنياهم.

أ-تعريف التفسير :

1-لغـــة:

أصله من الفَسَرِ و السَفَرِ، وهو الإبانة وكشف المغطى أو كشف المراد من اللفظ المشكل، أو إظهار المعنى المعقول، وكشف المغلق من المراد بلفظه وإطلاق للمتحبس عن الفهم به[1] يقال سفرت المرأة عن وجهها و أسفرت و أسفر الصبح[2] لقوله تعالى:﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾[3] أي بيانا و تفصيلا.

2- اصطلاحا:

هو إزاحة الإبهام عن اللفظ المشكل أي المشكل في إفادة المعنى المقصود، فهو ليس مجرد كشف القناع عن اللفظ المشكل، بل هو محاولة إزالة الإبهام عن دلالة الكلام[4]، كما يعرف كشف معاني القرآن و بيان مراده[5].

1-أبو الفضل جمال الدين محمد بن كرم إبن منظر الإفريقي المصري، لسان العرب، تح: أحمد حيدر، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت، (دت)،ج5،ص 555.

2-محمد الهادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبة القشيب، ج1، ط2، الأستانة الرضوية المقدسة، إيران، 1420هـ، ص17.

3-سورة الفرقان،الآية 33.

4-الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1984،ص 03.

5-محمد بن رزق بن طرهوني، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا،ج1، ط1، دار إبن الجوزي،،(د.ب)، 1426هـ،ص 18.

كما اختلفت الآراء في تحديد ما يندرج تحت علم التفسير، فبعضهم عرّفه بأنه: علم يفهم به كتاب الله المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم و بيان معانيه و استخراج أحكامه وحكمه[1]، وبعضهم عرّفه بأنه: علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها و أحكامها الإفرادية و التركيبية[2].

إذا تتبعنا أقوال العلماء الذين توجهوا إلى الاختصاص في هذا العلم، وجدناهم قد عرّفوه بتعاريف كثيرة، فهي وإن كانت مختلفة من جهة اللفظ إلا أنها متحدة من جهة المعنى[3]، فمجمل التعاريف تتفق على أن التفسير "علم" أي أنه ذو أصول و قواعد، موضوعه كتاب الله تعالى، ومقصوده الوصول إلى معرفة الله تعالى في كتبه من خلال الكشف عن دلالته اللفظية و البيانية، واستنباط أحكامه الشرعية وعرفة حكمته الخفية.[4]

ب-ينقسم التفسير إلى ثلاثة أقسام هي :

1-التفسير بالمأثور: هو التفسير بالرواية أو النقل أي تفسيره بالقرآن أو السنة أو بالوقوف على أقوال الصحابة رضوان الله عليم، وبيان المراد من قول الله سبحانه وتعالى وذلك من خلال هذه الطرق: تفسير القرآن بالقرآن، فبعض ما أجمل في مكان، فصّل في مكان آخر، و ما اختصر في مكان، بسط في مكان آخر، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ ﴾[5] فجعل النجم الثاقب بيانا لكلمة الطارق، أما تفسير القرآن بالسنة فقد أشار الله تعالى لذلك في قوله: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي

1-الزركشي، المصدر السابق،ص 13.

2-أبو حيان القرطبي، البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، ج1،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1993م،ص 23.

3-محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1، مكتبة وهبة، القاهرة، (د.ت)، ص12.

4-عبد القادر محمد صالح، التفسير والمفسرون في العصر الحديث، ط1، دار المعرفة، بيروت،(د.ت)، ص82.

5- سورة الطارق، الآية 1-3.

ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦٤﴾ [1] فإذا كان أصدق الكلام كلام الله سبحانه وتعالى فإن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هدى ورحمة، ثم تأتي المرتبة الثالثة وهي أقوال الصحابة، فقد أورد الحاكم في المستدرك أن تعبير الصحابي الذي شهد الوحي و التنزيل له حكم المرفوع[2]، أي أنهم أردى لما شاهدوه من القرآن و الأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح[3].

2-التفسير بالرأي: أي بالعقل، يعني الإجتهاد[4]،قد سمح لبعض العلماء المسلمين الاجتهاد في تفسير آيات القرآن الكريم على أن يلتزم المفسر في هذه الحالة بمراعاة ما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة والتابعين، كما يشترط من المفسر أن يكون بصيرا بقوانين الشريعة الإسلامية واللغة العربية، ومن أمثلة هذا التفسير تفسير الجلالين لجلال الدين السيوطي.[5]

3- التفسير الإشاري :

هو تفسير بالإشارة، أي تفسير الفرق الإسلامية، وهو الذي يقوم له أتباع الفرق الإسلامية بما يرتضوه لأنفسهم، و تظهر فيه عقيدتهم الإسلامية، وهذا النوع من التفسير يمكن أن يكون مقبولا إذا كان بعيدا عن التأويل و إذا كان له شواهد من الشرع، غير أن الكثير خرجوا عن الالتزام بهذه القواعد فقاموا بتأويل معاني الآيات القرآنية[6]، ومن أمثلة هذا التفسير: تفاسير المعتزلة مثل : الذي ذكره الزمخشري في كتابه الكشاف، فمثلا يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى:

1-سورة النحل، الآية 64.

2-محمد حسين محاسنة، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب الجامعي،ط1، العين، 2000-2001م،ص64.

3-تقي الدين احمد بن عبد الحليم أبو تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تح:أحمد بن صالح الطويان،دار طويق للنشر والتوزيع،ط1،دمشق،1392هـ/1972م، ص95.

4-محمد حسين الذهبي،المرجع السابق،ص ج1،ص264.

5-أبو تيمية، المصدر السابق، ص06.

6-محمد حسين محاسنة، المرجع السابق،ص 65.

﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنًا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴿٩٣﴾ ﴾[1].وقول الزمخشري في تفسير هذه الآية: " الآية فيها من التهديد و الإيعاد، أمر عظيم وخطب غليظ"[2].

كما نجده تشدد في مسألة حرية الإرادة وخلف الأفعال رغم وجود آيات صريحة تصادم مقولته، وهي أنّ أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى، فتفادى هذا التصادم لتعصبه لمذهبه الباطل باعتقاده باللطف الإلهي الذي يسهل على الإنسان عمل الخير، فتراه يفسر الآية في قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[3] فيقول "لَا تُزِغ قُلُوبَنَا" لا تبدلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا، "بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا" و أرشدتنا لدينك أو لا تمنعنا لطافتك بعد إذ لطفت بنا .[4]

وهناك أيضا تفاسير للشيعة مثل الذي ذكره الطربسي في كتابه" مجمع البيان في تفسير القرآن" في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [5] أي ارتباط الخيل للعدو، والربط بمعنى الشدّة ومنه قوله: ربط الله على قلبه بالصبر و الطاعة ولزوم الدين في الجهاد في سبيل الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا" أي صدقوا الله و رسوله "اصبروا و صابروا واربطوا" أي أثبتوا على دينكم و صابروا الكفار ورابطوهم في سبيل الله.[6]

1- سورة النساء، الآية 93.

2-أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجود التأويل، تع: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ط3، بيروت، 1430هـ/2009م،ص 13.

3- سورة آل عمران، الآية 08.

4-الزمخشري، المصدر السابق،ص 14.

5- سورة آل عمران، الآية 200.

6-أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج2، دار العلوم، ط1، بيروت، 1427هم2006م، ص382.

ج-نشأة علم التفسير ومراحله:

جرت سنة الله أن يبعث لكل أمة نبيا بلسان قومه وأن يكون كتابه بلسانهم مصدقا لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٤﴾ [1]، وظهر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في جزيرة العرب وأنزل الله تعالى عليه القرآن بلسان قومه العرب في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢﴾[2]،وقوله أيضا: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ۝١٩٥﴾[3] وكان القوم عربا خُلَّصا، يفهمون القرآن الكريم بمقتضى اللغة العربية واللسان العربي، غير أن القرآن يعلوا على سائر كلام العرب بألفاظه وأساليبه اللغوية والبلاغية فضلا عن معانيه، ولذا فقد كانوا يتفاوتون في فهمه و إدراكه، كان بعضهم يفسر ما غمض عن الآخر من معنى فإن أشكل عليهم لفظا أو غمض عليهم ولم يجدوا من تفسير سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهذا نشأ علم التفسير، وقد مرّ بمراحل .[4] وهي :

-المرحلة الأولى: التفسير في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن من التحريف وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[5] كما كفل لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يجمع القرآن في صدره في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧﴾[6]، ثم كلف الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يبين لهم القرآن وأن يفسره لهم، حيث قال تعالى:

1-سورة إبراهيم، الآية 04.

2-سورة يوسف، الآية 02.

3-سورة الشعراء، الآية193-195.

4- فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، مكتبة التوبة،(د.ب)، (د.ت)، ص144.

5-سورة الحجر، الآية 9.

6-سورة القيامة، الآية 16-17.

﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾[1]، لذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يرجعون إلى النبي عليه الصلاة والسلام فيما أشكل عليهم فهمه من القرآن الكريم فيجدون الجواب الشافي[2].

-المرحلة الثانية: التفسير في عهد الصحابة.

إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا عربا خلصا يفهمون القرآن و يدركون معانيه ومراميه بمقتضى لغتهم العربية، فهي لا تعكره ولا يشوهه قبح الابتداع و تحكم العقيدة الزائفة[3]، وإذا خفى عليهم معنى أو احتلفوا في معناه رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبين لهم ذلك ووضحه وإن لم يتيسر لهم ذلك رجعوا إلى اجتهادهم، وكان التفاوت بينهم واضحا في هذه الرتبة، فكان بعضهم يرجع إلى بعض، إذ أن التفاوت بينهم يرجع إلى قوة الفهم و الإدراك والتفاوت أحاط بالآية من ظروف وملابسات، بل كانوا يتفاوتون في معرفة المعاني التي وضعت لها المفردات[4].

-المرحلة الثالثة: التفسير في عهد التابعين رحمهم الله.

لم يكن ثمة فارق كبير بين منهج الصحابة رضي الله عنهم و منهج التابعين، فقد تلقى التابعون تفسيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، وكان التابعون يتحرجون من التفسير كما تحرج الصحابة من قبلهم ، فهذا سعيد بن المسيب رحمه الله كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن سكت و كأنه لم يسمع[5].

ومن المفسرين التابعين نذكر : مجاهد بن جبير (ت: 101هـ-720م)، و سعيد بن جبير(ت:95هـ/714م)، وزيد بن أسلم (136هـ/704)، ومسروق بن الأجدع

1-سورة النحل، الآية 44.

2-أبو تيمية، المصدر السابق،ص 35.

3- الذهبي، المصدر السابق،ج1،ص06.

4-فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، المرجع السابق، 19.

5-أبو تيمية، المصدر السابق،ص112.

الكوفي(63هـ/684م)، و من هؤلاء المفسرين أخذ تابعوا التابعين منهم: سفيان بن عيينة(ت198هـ/841م)،وكيع ابن الجراح (197هـ/813م)،و سفيان الثوري(161هـ/778م)[1].

د-أهمية علم التفسير:

علم تفسير القرآن من أهم علوم القرآن التي يجب على الأمة الإسلامية تعلمها، فلقد أوجب الله سبحانه وتعالى على أمته فهم القرآن و التدبر في معانيه في قوله جلّ جلاله:﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[2] وقوله أيضا:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾[3] وقال:﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[4]،فلقد دلت الآية الأولى على أنه أنزل القرآن للتدبر و حثت الآيتان الأخريتان على تدبره، وتدبر القرآن بدون فهم معانيه غير ممكن، وفهم معانيه إنما يكون بمعرفة تفسيره، فالتفسير هو مفتاح هذه الكنوز مهما بلغ الناس في ترديد ألفاظ القرآن[5].

قال السيوطي في بيان أهمية التفسير :" القرآن إنما نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب فكانوا يعلمون ظواهره و أحكامه، أما حقائق باطنه فلا تظهر لهم إلا بعد البحث والنظر وسؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم.[6]

1-محمد حسين محاسنة، المرجع السابق، ص65.

2-سورة النساء، الآية82.

3-سورة النساء، الآية29.

4-سورة محمد، الآية 24.

5-أبو حيان الأندلسي، المصدر السابق،ص 13.

6-نفسه، ص 13.

فيجب على المفسر أن يكون دراية كاملة باللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وعلوم وأصول الفقه، لأن كل العلوم مسخرة لخدمة كتاب الله تعالى وبيان رسالته للناس و إعجازه، فهو كتاب شامل يدعوا للتدبر والتفكر في مخلوقات الله ليستدلوا بالوجود على موجده سبحانه وتعالى[1].

المبحث الثاني :علم التفسير في بلاد المغرب الإسلامي.

شهد علم التفسير عناية فائقة من طرف أهل المغرب، كيف لا وهو يختص بدراسة القرآن الكريم وتفسير آياته و التدبر في معانيه، ويعتبر عكرمة مولى ابن العباس أوّل من مهد لنشأته فقد درسه في جامع القيروان، و مع تأسيس الدول المستقلة في القرن الثاني هجري زاد الاهتمام به.

أ–علم التفسير في المغرب الأدنى (الدولة الأغلبية):

اتسعت رقعة المدارس التعليمية باتساع الفتوحات الإسلامية وأهمها ما كان يدرس بها علم التفسير، فقد شارك الصحابة رضوان الله عليهم في فتح إفريقية منذ أول غزو بقيادة عبد الله بن أبي سرح 27هـ كما شاركوا في أغلب مراحل الفتح، وإن كان عددهم يتضاءل شيئا فشيئا كلما تقدم التاريخ[2] كما كان لهؤلاء الصحابة صلة كبيرة بالقرآن وأهمهم عبد الله بن الزبير الذي كان عضوا في لجنة جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه كذلك عبد الله بن عمرو الذي جمع القرآن أيضا[3].

وقد جاء مجموعة من العلماء والمفسرين بعد هؤلاء الصحابة، فكانت مهمتهم تدريس وتلقين أهل المغرب تعاليم الدين وتفسير محتواه وبيان أهدافه، من حيث تفسير القرآن أي فهم كتاب الله و استخراج أحكامه[4].

1–محمد عليلي، المرجع السابق،ص 303–304.
2–فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، المرجع السابق، ص08.
3–هند شلبي، المرجع السابق، ص ص27–30.
4–عبد القادر محمد صالح، المرجع السابق، ص82.

فبداية التفسير في إفريقية كانت بالعمل بالمحكم والإيمان بالمتشابه والذي ظهر على يد أبناء إفريقية الذين رحلوا إلى المشرق لزيادة التلقي عن محدثيهم وفقهائهم، يأتي في مقدمتهم عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الذي روى عن جماعة من التابعين بالمشرق، توسع في العلوم الإسلامية، وقام بمكة ودرس بها، كانت له مجالس مشهورة حتى أقبل عليه سفيان الثوري المفسر الإمام وأخذ منه ثم رجع إلى القيروان ودرس بها، بعد ذلك نجد عبد الله بن فروخ الفارسي[1] الذي اعتنى أبو زكريا بن سلام بعلم التفسير أحسن اعتناء، وقام بتطويره من خلال مصنفه الذي سماه على اسمه، فقد اعتمد في تفسيره على التفسير بالمأثور والمنقول، لأن عدد التابعين الذين نقل وروى عنهم كثير، وكتابه كان يضم كل شروط وضوابط التفسير رغم قلة النقد في روايته[2].

كما انتهج في تفسيره على آراء السلف وآراء مالك بن أنس ولم يقتصر أبو زكريا بن سلام على عرض هذه الآراء، بل كان يرجح بينها و يعتمد ما يرجحه ويعقب عليه بقوله:" وبه يأخذ يحي"، كما قام بتفسير القرآن نفسه وهو أعلى مراتب التفسير إذ به يستطيع المفسر الوصول إلى المعنى الصحيح لأن القرآن وحده متكاملة مترابطة[3].

وفسر القرآن الكريم بالأحاديث النبوية واستشهاده بالروايات أو المعاني التي يقررها القرآن، ومن أمثلة هذا التفسير في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾[4] أي: أن لا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه، ثم يبحث في الأحاديث النبوية ما يكون له نفس معنى الآية الكريمة، وبهذا يقوم بنقل حديث فيه وصف لحملة العرش وهذا ما جاء في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :" أُذِن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجله في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش وبين شحمه أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مئة سنة "[5]، فالاستدلال على الأحاديث يسهل التفسير لمقصود اله تعالى في كتابه العظيم.

1-المالكي، المصدر السابق، ج1،ص ص96-103.

2-يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق،ص 417.

3-وسيلة بلعيد بن حمدة، مجلة الزيتونة، (نشأة التفسير بتونس)، المعهد الأعلى لأصول الدين، العدد الأول، 1992، ص 82.

4- سورة النمل، الآية 26.

5- وسيلة بالعيد بن حمدة، المرجع السابق، ص82.

رحل لطلب العلم إلى المشرق ولقي فيها مالك بن أنس وسفيان النوري، ويعتبر كلاهما من مشاهير المفسرين ولقد كانت له مكتبات مع مالك حيث كان يسأله عن بعض القضايا فيجيبه، و لقي ابن فروخ عبد الملك بن جريح صاحب أول تصنيف في التفسير على أشهر الروايات، وفي إفريقية عن ابن فروخ يحي بن سلام[1] وهو صاحب أقدم تفسير إفريقي وباقٍ إلى اليوم[2].

ومن الذين اهتموا بتفسير القرآن في إفريقية محمد بن زرزور[3]، كان حافظا للتفاسير أبرزها تفسير يحي بن سلام الذي كان منهجه قراءة الآية وشرح ألفاظها، وذكر روايات الفقهاء حول ما ورد من أحكام في الآيات المقروءة لتفصيل معنى الألفاظ[4].

لقد كان أول ظهور لتفسير القرآن والذي عُرف حتى اليوم هو تفسير أبو زكريا بن سلام بن أبي ثعلبة المصري(124-200هـ/742-815م)[5]، وهو من العلماء الذين وفدوا على القيروان من البصرة واستوطنوها، لقي العديد من العلماء ومنهم مالك بن أنس[6]، ويعتبر تفسيره من أقدم التفاسير المهمة، وبقي منها أجزاء، فتفسيره يقع في 30 جزءا أي ما يعادل ثلاث مجلدات ضخمة بعرف اليوم[7]، توجد أجزاء منه في مكتبة القيروان العتيقة بعضها من يفسر سورة الفاتحة والبقرة.[8]

1-هو أبو زكريا يحي بن سلام بن أبي ثعلبة البصري توفي(200هـ/815م)، من العلماء الذين وفدوا إلى القيروان من البصرة ومن أهم المفسرين الذين عرفوا في إفريقية لقي الكثير من العلماء والمحدثين التابعين ومنهم مالك بن أنس. ينظر: الدباغ، المصدر السابق، ج1،ص322.

2-محمد بن رزق بن طرهوني، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، دار ابن الجوزي، ط1،(د.ت)، ص 500.

3-محمد أبو عبد الله محمد بن زرزور توفي في 145هـ، كان حافظا للغريب بصيرا باللغة، روى الأشعار و شعره في توحيد الله ردا على الزنادقة والمكذبين من خلال شعره، ينظر: الدباغ،المصدر السابق، ج2،ص 247-248.

4-يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق،ص 410.

5-وسيلة بلعيد بن حمدة، المرجع السابق، ص66.

6- الدباغ، المصدر اليابق، ج1،ص 322.

7-محمد أحمد حوالة، المرجع السابق، ص 417.

8-محمد محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1408هـ/1988م، ص419.

وعرف له اجتهادات في الفقه تدل على استقلاله في الرأي[1]، فقد وصف تفسير يحي بن سلام بالتفسير الكامل والذي قيل عنه أنه ليس لأحد من المتقدمين مثله[2].

وتذكر هند شلبي هذا التفسير بقولها أنه أقدم مجهودات علماء إفريقية العلمية، فهو يعتبر فاتحة بواكر المصنفات التفسيرية فيما بعد، فقد نال شهرة عريضة في بلاد المغرب الأدنى[3]، أُلف في القيروان وانتقل إلى الأندلس حيث انتشر وتلقاه الشيوخ والطلبة وأقبلوا عليه.

كما اهتم بتلخيصه عالمان أندلسيان هما بن أبي زمنين[4] في كتابه مختصر تفسير ابن سلام، وأضاف في هذا الكتاب الكثير مما لم يذكره يحي بن سلام في تفسيره،من اللغة والنحو، وذكر أصحاب اللغة السالكين لمناهج الفقهاء في التأويل، حتى أضحى تفسير هذا الأخير مستقلا عن تفسير يحي بن سلام، هذا كله للمحافظة على الأسانيد خلال نقله من تفسير ابن سلام[5]وعبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الأنصاري[6] .

1-فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، المرجع السابق،ص 09.

2-محمد بن رزق بن طهروني، المرجع السابق،ص 501.

3-يوسف بن أحمد حواله،المرجع السابق، 420.

4-عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، الإمام القدوة، الزاهد، شيخ قرطبة، ت:339هـ/1008م، ينظر: عبد الله محمد أبو زمنين، تفسير القرآن العزيز، تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة و محمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة للنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ، مج1، ص09.

5-سعاد زغيشي، منهج هود بن محكم، الهواري في التفسير، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، إش: منصور الكافي، جامعة الحاج لخضر باتنة، (2006-2007م، ص 284.

6-المعروف بالقناعي، من أهل قرطبة يكنى أبا المطرف، روى عن أبي عيسى الليثي، أقبل على الزهد وإقراء القرآن و تعليمه، ينظر: أبو القاسم خلف بن عبد الملك اين شكوال، الصلة، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط1، القاهرة، 1410هـ/1989م ، ج1، ص 481.

من أهم الطرق التي انتشر بها علم التفسير في إفريقية والتي كان لها دور كبير في هذا الصدد هي اجتهادات العلماء في إيصال هذا العلم وعلى رأسهم أبو زكريا يحي بن سلام الذي كان في داره حلقة كبيرة أعجب بها الحافظ أبو العرب التميمي، وكانت سببا في إقباله على العلم [1]، ومحمد بن محمد بن أبو بكر بن اللباد[2] وهو شيخ السنة بالقيروان عندما سجن ثم أطلق، ومنع من الفتوى و الإسماع و اجتماع الطلبة عليه، حيث كان الطلبة يجتمعون إليه في بيته سراً.[3]

وكانت هنالك حلقات أخرى كحلقة ربيع القطان[4] في منزله حافلة بالطلبة، إضافة إلى عيسى بن مسكين[5] الذي كان يحدث بكتب ابن وهب صاحب التفسير في منزله.[6]

إن ابن يحي بن سلام هو أهم عرفته افريقية، فرغم أنه مشرق الأصل و النشأة والتكوين العلمي غير أن الأثر العلمي الذي تركه في إفريقية وعلى رأسه علم التفسير الذي أسبغ على البلاد تقدما علميا معروفا فلا يمكننا أن نغفل دور التفسير ابن سلام وتأثيره على الأجيال الإفريقية و طلبة علم التفسير خصوصا .

1-الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص118.

2- هو محمد بن محمد بن وشاح، مولى الأقرع ، ومولى موسى بن نصير اللخمي، من أصحاب يحي بن عمر و تفقه به وأخذ عن أخيه بن عمر وابن طالب رحمه الله ، ينظر: القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام المذهب مالك، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1418هـ/1998م، ج2، ص 21.و صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط1،بيروت، 1420هـ /2000م، ج1، ص 117.

3- محمد بن رزق طهروني، المرجع السابق، ص503.

4-أبو سليمان ربيع بن عطاء الله، من الفقهاء والعباد المجتهدين وأهل الورع و الدين، عالما بالقرآن وقراءاته و تفسيره ومعانيه، حافظ للحديث، ينظر: القاضي عياض، المصدر السابق، 33.

5-هو عيسى بن مسكين بن منصور بن خديج بن محمد الإفريقي ، أصله من العجم، من أهل الفقه والورع، ينظر: أبو الفضل عياض، تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، تح: محمد الطالبي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1968، ص 232.

6-محمد بن رزق بن طهروني، المرجع السابق، ص503.

أما بالنسبة للتفسير في عصر الولاة فإن دخول عدد من الصحابة إفريقية مرافقين لجيش الفتح يعد بداية في تفسير القرآن نذكر منهم ابن العباس الذي يعتبر من أوائل المفسرين وأهم فقيه والذي كان مجلسه من أكرم المجالس[1]، و يتضح أن من أخذ العلم عن الأول من التابعين كان يروي عنه التفاسير، فلا يعقل أن يروي التابعي ما سمعه من فقه و يترك التفسير لأنه يعد كتمانا للعلم.

ومن التابعين الذين قدموا إلى إفريقية عكرمة[2] مولى ابن عباس الذي درس العلوم الشرعية في جامع القيروان وعلى رأسها علم التفسير[3]، لاسيما وأنه كان من أشهر المهتمين بهذا العلم الذي أخذه عن أستاذه ومولاه عبد الله ابن عباس.

ونجد من تلاميذ ابن عباس الذين درسوا في إفريقية حبّان بن أبي جبلة القرشي، وقاضي إفريقية أبو علقمة[4]، كان من مواليه ومن علماء إفريقية أخذ العلم عن المفسر ابن حديج عبد الله بن فروخ الفارسي[5]، ومن الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز أبو سعيد بن عمر الرعيني[6].

ومن غير المستبعد أن يكون أهل البلاد الأصليون قد أخذوا بعض تفاسير الآيات في حلقات الدروس المسجدية مثلما أخذوا الفقه وغيره من العلوم الشرعية لاسيما وأنه علم اختص بدراسة القرآن الكريم وتدبر معاينه، وبالتالي لم يكن هناك في هذه الفترة أي ذكر لمفسرين آخرين[7].

1- شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الفكري الجنبلي الدمشي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1، دمشق، 1406هـ/1986م، ص 195.

2-أبو عبد الله عكرمة مولى عبد الله بن عباس رضي الله عنه، كثير الرواية عن مولاه، روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة، أدخله مالك في موطأه، ينظر، المالكي، المصدر السابق، ج1، ص145.

3-يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ج1، ص409.

4-مولى عبد الله بن عباس، من أهل مصر، سكن القيروان، وولى قضاء إفريقية، روى عن عبد الله بن العباس و ابن عمر، ينظر:المالكي، المصدر السابق، ج1، ص134.

5-محمد بن عبد الله بن فروخ الفارسي، كان فاضلا صالحا متواضعا، قليل الهيبة للملوك، مباينا لأهل البدع ومعاديا لهم، حافظ للحديث والفقه، المالكي المصدر السابق، ج1، ص176-177.

6-أبو سعيد بن عمر الرعيني، فقيها ولاه هشام بن عبد الملك قضاء جند إفريقية، روى عنه بكر ابن سوادة، وهو أحد العشرة التابعين، و أحد القرّاء، ت:115هـ /733.ينظر: الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 202.

7-يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ج1، ص 409.

2-علم التفسير في المغرب الأوسط (الدولة الرستمية):

لما كان القرآن هو المصدر الأول للتشريع وإليه يرجع في إصدار الأحكام ، احتاج الناس إلى فهم معانيه، وشرح آياته، فكان العرب أول المحتاجين لذلك، وكانوا يرجعون إلى رسول صلى الله عليه وسلم في تفسير بعض الآيات ومن هنا اهتموا بتفسير الألفاظ والكلمات والمعاني والآيات، فعرفوا بالمفسرين لكتاب الله تعالى[1]، فلقد كان كتاب الله أعظم العلوم الدينية، وأرفعها شأنا ومنارا لكونه رئيس العلوم القواعد الشرعية وأساسها [2]، ولاحتياج الكبير للبربر لمن يفسر لهم القرآن كانت هنالك حلقات الوعظ والتدريس، ومجالسها لا تخلوا من شرح ألفاظ القرآن و تفسير آياته، خاصة منها الآيات المتعلقة بالأحكام ذات الممارسة اليومية كالصلاة والزكاة والصوم والحج، والمؤكد أن هذا التفسير كان عبارة عن ترجمة لآيات القرآن إلى البربرية حتى تكون مفهومة.[3]

كان اهتمام العلماء المسلمين كبيرا بالتفسير لفهم المقصود من النصوص الشرعية وذلك لما ورد فيها من ترغيب لقوله تعالى : ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ﴾[4]. ومن هنا تفرغ بعضهم لتفسيره، قصد تسييره و تسهيل فهمه[5].

كان بيت الرستميين بيت العلوم، وعلى رأس هذه العلوم علم التفسير ولعل أهم المفسرين هم الذين تحدث عنهم الإمام عبد الوهاب لما طلب من أهل نفوسة أن يرسلوا له وفدا يتضمن مجموعة من العلماء، ويضم كل صنف من هؤلاء العلماء مئة عالم بمن في ذلم المفسرين، وذلك

1-إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص298.

2-أحمد محمد الصاوي المالكي، حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، مطبعة مصطفى محمد، مصر، 1934، ج2، ص02.

3- إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص298.

4- سورة الحشر، الآية21.

5- أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، ط11، بيروت، 1979، ص196.

ليتناظروا مع المعتزلة بتيهرت[1].

ولعل أشهر المفسرين هو محمد بن يانس الدركلي النفوسي المعروف بإبن أبي المنيب(200-250هـ/815-864م) ، يعتبر من أهم أعلام نفوسة، عرف بعلمه الكبير لمعاني القرآن، ورغم أنه مفسر كبير إلا أنه لم يترك مؤلفا يدل على هذه المكانة[2] .

ونجد أيضا لواب بن سلام التوزي المزاتي وهو من علماء قبيلة مزاتة، كان عالما بالأصول والفروع، قام بتفسير جزء من سورة الشورى في كتابه "شرائع الدين" في قوله تعالى : ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾[3]، وذلك من خلال اعتماده على حسن البصري وابن العباس، كما تطرق إلى حكم حجاب المرأة وفسر الآيات التي تحتويها في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٥٩﴾[4].

وقد كان منهج لواب بن سلام في تفسير القرآن إتباع سور القرآن آية بآية، بداية بذكر سبب نزولها أولا، ثم ذكر الآيات المتشابه لها، و الاستعانة بالأحاديث النبوية التي تبين وضوح

1- أبو العباس بن سعيد الدرجيني ، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة (الجزائر)، ج1، ص.58

2-محمد عليلي، المرجع السابق، ص305.

3-سورة الشورى، الآية 13.

4-سورة الأحزاب، الآية 59.

الآية أي الاستدلال بها .[1]

ويرى أحمد أمين أن علم التفسير بدأ مع عبد الله بن العباس رضي الله عنه الذي كان أجرأ الصحابة على الإجابة عن تساؤلات العامة حول آيات القرآن، وذلك من خلال اعتماده على الحديث النبوي، ومرويات من أسلم من أهل الكتاب[2].

أما المصنف الثاني في التفسير فقد ظهر في جبل الأوراس مفسرين وهما محكم الهواري و إبنه هود الذي وضع كتابا في تفسير القرآن[3]، حيث أن أبوه كان قاضيا عند الإمام أفلح (208-258هـ/823-871م).[4]

ويذكر هود بن محكم الهواري الأوراسي أبوه وقال عنه أنه عالم متقن وصاحب التفسير المعروف :"تفسير كتاب الله العزيز"، وهذا الكتاب اعتبر أهم مصدر للتفسير حيث لم يتعرض فيه للنحو والإعراب، بل اعتمد على طريقة المنتقدين أي أنه يذكر في بعض الحالات أسباب النزول، كما أخذ من الأحاديث النبوية، واستخدم النقل[5].

تلقى هود بن محكم تعليمه في تاهرت، وكان يفسر القرآن بالمأثور من الأقوال ، واتبع في ذلك شروطا ثمانية وهي :معرفة المكي والمدني، اللغة العربية، الناسخ والمنسوخ، التقديم و التأخير، المقطوع والموصول ، الخاص و العام، و الإضمار.[6]

1- هود بن محكم الهواري، تفسير كتاب الله العزيز ، تح :بلحاج سعيد شريفي، ط1 دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)،1990، ص .37

2-أحمد أمين ، ظهر الإسلام، ج2، ط4 مكتبة النهضة المصرية، ، القاهرة، 1966 ، ص 37-38.

3-جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، موفم، الجزائر، 1984، ص108.

4-أبو القاسم بن إبراهيم البرادي، الجواهر المنتقاة ، تح :أحمد بن سعود السيابي،ط1، دار الحكمة، لندن، 2014،ص 219.

5-إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 301.

6-محمد عليلي، المرجع السابق، ص307.

كان ومزال تفسير كتاب الله العزيز لمحكم الهواري مهما[1]، وهذا ما ذكرته المصادر الإباضية حتى يذكر الدرجيني في كتابه أنه كان هناك خلاف حول من يملك هذا الكتاب[2].

إن الاهتمام الكبير بتفسير هود بن محكم الهواري لأنه كان من أشهر المفسرين الذين عرفتهم الدولة الرستمية والذي تداولته المصادر والمراجع الإباضية والغير إباضية، ومن هذا المنطلق نشير أنه كان أول مرجع أساسي للإباضية بالإضافة إلى أحاديث النبوية[3]، ومن الأمثلة على تفاسيره قوله تعالى : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[4]، أي جاء أمر برك والملائكة جاؤوا بأمره، وهنا نفي لفكرة المجيء والذهاب التي فيها تشبيه وتجسيم لله، لأن الله تعالى ليس بزائل ولا متنقل[5]، كما فسر الإستواء في الآية: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[6] و كذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾[7]، وكان تفسيره على ذلك هو أن أمر الله عالٍ على مخلوقاته بالملك و القدرة.

1-ينظر للملحق رقم 4 ، ص91.

2-الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 307.

3-صالح باجية، الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى،، ط1،دار بوسلامة للطباعة والنشر،، تونس، 1976، ص 54.

4- سورة الفجر، الآية 22.

5-محمد عليلي، المرجع السابق، ص308.

6- سورة طه، الآية 05.

7- سورة الفرقان، الآية59.

أما في الآيتين قوله تعالى: ﴿وُجُوه يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾[1] و قوله أيضا: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾2 فقد فسر كلمة ناضرة في الآية الأولى بناعمة، أما في الآية الثانية ففسرها بالمنتضرة للثواب وليس النظر إلى وجه الله تعالى.[3]

يذكر أبو إسحاق إبراهيم طفيش[4] أن نفسير هود بن محكم الهواري هو أول تفسير للقرآن الكريم الموجود بين أيدي المسلمين حتى اليوم[5]، و يذكر إبراهيم بحاز أن التفسير المنسوب لهود بن محكم ليس أصله له وإنما لمؤلف مشرقي، فقد جاء هود حسب ما يذكر وأخذ الكتاب ولم يضف فيه إلا شيئا قليلا لا يكاد يذكر[6]، لكن رغم كل هذه الأقاويل كان ومزال مرجعا في غاية الأهمية.

يعتبر ابن الصغير واحدا من الفقهاء المالكيين الذين عاشوا في كنف الدولة الرستمية و قد سجل مناظرة وقعت بينه و بين فقيه إباضي يدعى أبا الربيع الإباضي[7] حول تفسير في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّـٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾﴾[8] فابن الصغير فسر "لم" بأنها لا تعني النفي القاطع، إنما تنطبق على الفتيات الصغيرات اللائي لم يبلغن سن

1-سورة القيامة، الآية .22

2- نفس السورة، الآية.23

3-هود بن محكم الهواري، المصدر السابق، مج4، ص 468.

4- هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يوسف بن طفيش، ولد 1205م، كان عالما من بني ميزاب، تتلمذ على يد عبد القادر المجاوي، أخذ مبادئ العلم بمسقط رأسه عن عمة قصب الأصول والفقه، ينظر: أبو زكريا يحي بن الخير بن أبي الخير الجناوي، الوضع، مختصر الأصول والفقه، تح: أحمد بن صالح الشيخ أحمد، ط1، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عام 1436هـ/2005م، ص.16

5-إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 303.

6- نفسه.

7-من وجوه هوارة يسمى سليمان، و يكنى أبا الربيع، ينظر: إبن الصغير، المصدر السابق، ص117-118.

8-سورة الطلاق ، الآية05.

المحيض، لأن "لم" اداة جزم تفيد النفي في الماضي وليس المستقبل، بينما أبو الربيع فسرها على أنها تعني النساء اللواتي لم يعدن يحضن[1].

إن المناظرات التي كانت تقام في تاهرت كشفت لنا الاختلاف الواقع بين الإباضية والمالكية، وذلك يرجع إلى الاختلاف العقائدي، وهذا ما أدى إلى ظهور اختلاف في التفسير.

المبحث الثالث: علم التفسير في الأندلس(الدولة الأموية).

مع دخول الإسلام للأندلس دخلت معه العلوم الإسلامية بعد أن تجاوز بعضها دور أدوار النشأة في المشرق العربي، فلقد استفاد الأندلسيون من مدارس التفسير المشهورة، ومن الكتب المختصة في التفسير في المشرق ومنها الطبري، فمن هنا بدأ التفسير في الأندلس، فقد اختلفت مزاولته هنا عن المشرق، فنشأته في المشرق كانت ولادة أما في الأندلس فكانت تلقى[2].

إن نشأة التفسير في الأندلس كان مع تحول أهل الأندلس إلى الإسلام الذي استمدوا قواعده وأصوله وعلومه من القرآن الكريم، فلقد كان الناس بحاجة ماسة إلى فهم آياته والوقوف على معانيه، فكان المسجد أول منطلق لهذا العلم ، فعلم التفسير بدأ بولادة أول علم من أعلام المفسرين في الأندلس[3]وهو بقي بن مخلد (276هـ/889م) [4]، كان رجلا صالحا رحل في طلب العلم إلى المشرق وسمع من الكثير من الشيوخ في مكة والمدينة و مصر وبغداد [5]، منهم أحمد بن حنبل وهو من كبار

1-محمد عليلي، المرجع السابق، ص 309؛ ابن الصغير، المصدر السابق، ص117-.119

2-فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، منهج المدرسة الأندلسية في التفسير، صفته وخصائصه، مكتبة التوبة ، ط1، السعودية، 1417هـ/1997م ، ص08.

3- مصطفى إبراهيم المشيني مدرسة التفسير في الأندلس، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت،1406هـ/1986م، ص81.

4-من أهل قرطبة يكنى أبا عبد الرحمن ، سمع من محمد بن عيسى الأعشى ومن يحي بن يحي، رحل إلى المشرق فلقي جماعة من الأئمة المحدثين وكبار المسندين منهم إبراهيم بن محمد الشافعي صاحب ابن عيينة. ينظر: أبو الوليد عبد الله بن محمد المعروف بابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تح:بشار غوار معروف، دار الغرب الإسلامي ، ط1، تونس،1429هـ/2008م،مج1، ص.143

5- اختطها أبا جعفر المنصور في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائة مدورة، وتعرف في جميع أقطار الدنيا بالمدينة المنورة، ينظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص25.

أصحابه الذي لم يتبع مذهبا معينا[1]، و إنما كان يصدر آراءه في المسائل بحسب ما يتراء له، معتمدا على الكتاب، هذا ما أدى بفقهاء الأندلس لعدم رضاهم على مذهبه الذين كانوا يتعصبون لرأي مالك ومن هنا أنكروا عليه هذا الإستقلال الذي كان يسير عليه[2].

وضع بقي بن المخلد تفسيرا للقرآن الكريم بلغ من كماله أن ابن حزم تحدث عنه في رسالته الشهيرة عن فضائل أهل الأندلس حيث قال :" وفي تفسير القرآن كتاب أبي عبد الرحمن بقي بن المخلد".[3]

كما وضع مسندا للنبي صلى الله عليه وسلم ليس لأحد مثله، فلقد كان ورعا زاهدا فاضلا ومجاب للدعوة، وسمع عنه أسلم بن عبد الله العزيز، عبد الله بن يونس، و الحسن بن سعد[4]، فلقد اعتبر تفسير بقي بن مخلد التفسير الذي أقطع قطعا أنه لم يؤلف مثله في الإسلام تفسير، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري، من خلال تفسيره قام بترتيب أسماء الصحابة، فروي فيه عن ألف وثلاثمئة صاحب، ثم رتب كل صاحب عن أسماء الفقه وأبواب الأحكام فهو مسند ومصنف، و لم يسبق أن احتل مصنف قبله هذه المرتبة التي حاز عليها هذا التفسير، وذلك كله يعود لثقته وعلمه وجودة شيوخه[5].

من خلال تفسيره نرى أنه كان محطة هامة في التفسير، في هذا الصدد تحدث ابن حزم حيث قال :"صارت تصانيف هذا الإمام الفاضل قواعد الإسلام لا نظير لها، وكان متخيرا لا يقلد أحد بل يفتي بالأثر[6]، كما ذكره أيضا ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان حيث قال أن كتابه هو الكتاب الذي أقطع قطعا لا أستثني فيه أنه لم يؤلف في الإسلام مثله ولا تصنيف محمد بن جرير

1-المقري، المصدر السابق، ج1، ص.47

2- نخل جنثاليت بالثيا، المصدر السابق، ص408

3-مصطفى إبراهيم المشيني، المرجع السابق، ص84.، أنخل جنثاليث بالثيا، المصدر السابق، ص 408.

4-ابن الفرضي، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، مرا: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة،مصر،1373هـ/1954م، ج1، ص109.

5-مصطفى إبراهيم المشيني، المرجع السابق، ص 84.

6-المقري، المصدر السابق، ج2، ص282.

الطبري ولا غيره[1]، ترجم له الإمام السيوطي وعدّه من أعلام المفسرين، كذلك تلميذه الداودي الذي ذكره وعدد رحلاته وشيوخه، و أشار بتفسيره ومسنده[2].

وفي الأخير فإن علم التفسير لقي انتشارا واسعا بين عموم المغاربة والأندلسيين ليجعلوا منه علما نافعا ومرجعا للتدبر لفهم آيات الله تعالى، إلا أن علم التفسير لم يكن في الدولة الإدريسية، أو بالأحرى لم نجد من المصادر والمراجع ما يخول لنا التحدث عن هذا العلم بهذه الدولة نظرا لأن الدولة الإدريسية لم تنعم بالاستقرار السياسي إلاّ زمنا قصيرا مع الإمام الأول والثاني الذين انشغلا في تأسيس الدولة والدفاع عنها ضد المتربصين بها خاصة الدولة العباسية التي حاولت أن تجهز عليها في مهدها كما هو معروف، وهذا ما يفسر قلة، إن لم نقل انعدام حركة العلمية في هذه الفترة .

1- الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ، معجم الأدباء، دار الغرب الإسلامي ، ط1، تح:إحسان عباس، بيروت، 1993 ، 747.

2-مصطفى إبراهيم المشيني، المرجع السابق، ص85.

الفصل الثالث: أشهر المقرئيين و المفسرين ومصنفاتهم

- **المبحث الأول :أشهر المقرئين ومصنفاتهم.**
- **المبحث الثاني : أشهر المفسرين ومصنفاتهم.**

إن القرآن الكريم هو كتاب الله المنزل على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وهو المصدر الأول للتشريع، ما تعلق منه بالعبادة أو المعاملة أي أمور الدين و الدنيا، وعلى هذا الأساس اهتم المسلمون به قراءة و تفسيرا، وصار من الواجبات الشرعية، حيث اندفع أهل المغرب الإسلامي إلى تعلمه و التبحر فيه، وقد شهدت بلاد المغرب عدة مقرئين ومفسرين كان لهم الصدى والفضل في نشر علوم القرآن وما اتصل بها من علوم أخرى .

المبحث الأول : أشهر المقرئين في المغرب الإسلامي و مؤلفاتهم .

لقد شهد المغرب الإسلامي في القرن الثالث الهجري ازدهارا في علم القراءات كمّا ونوعا، ففيه اقتصرت على حرف ووجه واحد في القراءة على طريقة نافع، ومن هؤلاء المقرئيين نذكر:

1-في المغرب الأدنى(دولة الأغالبة):

إذا كانت مسيرة دراسات علم القراءات لم تتضح صورتها في عصر الولاة رغم وجود تابعين وفدوا إلى المغرب الإسلامي سواء من استقر فيها استقرارا تاما أو مؤقتا، فإنها على عصر الأغالبة كانت على نقيض من ذلك، فلقد شهر هذا العصر إزدهارا في هذا المجال [1] من خلال مجموعة من المقرئين الذين ذاع صيتهم في البلاد :

1-1-أبو يحي بن إبراهيم الوقار: (ت:254هـ-868م)

من علماء القراءات في إفريقية، مولى قريش، مصرري وفقيه، صاحب عجائب، تتلمذ على يد الإمام مالك و قرأ القرآن على يده و تعلم منه الفقه في ذلك الوقت[2]، والواقع أن أبا يحي كان من المعمرين حيث أنه جلس إلى نافع ومالك وكان ذلك في سن مبكر، لذلك عده الشيرازي من صغار الآخذين عن مالك[3]، قدم افريقية سنة خمسا و خمسين ومائتين، وعند دخوله إليها دخلها فارا من

1-يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ج1، ص 410.

2-أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع و النشر، القاهرة، د.ت، ص368-369.

3-أبو إسحاق الشيرازي الشافعي، طبقات الفقهاء، تح : إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، د.ت، ص151.

محنته الكبرى التي ابتلي بها في المشرق، وهو القول بخلق القرآن وكانت هذه المحنة في فتر ة ولاية علي بن يحي على مصر سنة 226هـ -480م[1]، والتي عارضها علماء المالكية.

اتفق الجميع على جلوس الوقار للتدريس بافريقية، ولا شك أن دروسه كانت حافلة متنوعة يجد فيها الطالب الحديث والفقه والعلوم القرآنية، ومن بين تلاميذته: أبو عبد الرحمن و أبو عبد الله محمد بن برغوث المقرئ الذي أمره القاضي بالقيروان أبو العباس بن طالب ألا يقرئ الناس إلا بحرف نافع.[2]

ويبدو أن تلامذة أبي يحي كانوا كثرا وهذا ما تطرق له أبو العرب في مقاله عندما خاطب أبو يحي أهل إفريقية حيث قال :" إني أريد الخروج من إفريقية فإن طلبتهم مني أن أبقى فيكم مدة أخرى ليستوعب الناس مني كما استعنتهم على عبد العزيز بن يحي الهاشمي صبرت لكم ".[3]

وقد غادر أبو يحي بن إبراهيم الوقار إفريقية بالفعل ليعود إلى مصر حيث هناك كانت وفاته.[4]

1-2-محمد بن برغوث المقرئ: (ت:272هـ-885م).

هو من تلاميذ أبي يحي الوقار، وتلقى عنه القراءة بحرف نافع عندما قدم إلى إفريقية سنة 225هـ839م، ولا شك أن ابن البرغوث أخذ عن أبي يحي بحرف نافع مثلما أخذ عنه أبو عبد الرحمن المقرئ.[5]

كان يجلس في المسجد الجامع في القيروان ليعلم الناس القراءات [6]، كان في البداية يدرس مختلف القراءات، حيث كان يدرس بطريقة حمزة الكوفي وتوسع في ذلك حتى جاءه أمر القاضي بن الطلب بأن لا يقرأ إلا بحرف نافع، و دخل إفريقية سنة 222هـ وسمع من أحمد بن فرات.[7]

1-فاطمة عبد القادر رضوان، مدينة القيروان في عهد الأغالبة (184هـ-296هـ)، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، سنة 1991م، ص 222.

2-هند شلبي المرجع السابق، ص 221.

3- نفسه، ص 222.

4-محمد عليلي، المرجع السابق، ص299.

5-فاطمة عبد القادر رضوان، المرجع السابق، ص222.

6-الحسين بن محمد شواط، المرجع السابق، ص 171.

7- المالكي ، المصدر السابق، ج1، ص 378 و هند شلبي، المرجع السابق، ص 281 .

من تلاميذه أبو تميم محمد بن أحمد التميمي و أبو يحي البطيح[1].

1-3-أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني البغدادي(ت:298هـ-908م):

لم تذكر المصادر تاريخ قدوم أبي سير الشيباني إلى إفريقية، لكنه أقام مدة طويلة بها، تولى الكتابة لدى الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب سنة 261هـ- 874م ثم في عهد ابن أبي العباس زيادة الله[2]، كما اشتغل في نفس المنصب في مستهل دولة العبيديين إلى أن توفي سنة298هـ-908م، سمع من العديد من الفقهاء والمحدثين و النحويين مما جعل له إلهاما كبيرا بعلوم القرآن[3]، ليس له تأليف في القراءات رغم مؤلفاته في العلوم الأخرى، إلا أنه ألف كتابا في القرآن و إعرابه ومشكله ومعانيه و سماه بسراج الهدى[4]، وعلى هذا نعطي حكما له بمعرفته بالقراءات لأهميتها في القرآن الكريم.

كان لجود أبي اليسر بين أهل إفريقية أهميته بالغة لأنهم وجدوا عنده ضرورة ما كفى الكثيرين مؤونة الرحلة خاصة وهو العالم الأديب صاحب المؤلفات العديد من الفنون[5]، لم تذكر المصادر عن التلاميذ الذين رووا عن أبي اليسر الشيباني إلا ما ذكره المقرئ ومنهم: أبا سعيد عثمان بن سعيد مولى زياد بن الأغلب.[6]

1-4-أبو عبد الله محمد بن عمر بن خيرون الأندلسي القيرواني(ت:306هـ-918م):

هو من أصل أندلسي، ابن شيخ القراء بالقيروان محمد بن عمر بن خيرون، سلك طريق أبيه في القراءات[7]، كان إماما في القراءة في القراءة هو من أهل الجود والمعروف[8] رحل إلى القيروان وبنى بها مسجد سنة 252هـ-866م، و اتخذ مكانا للإقراء، تبين رحلته[9] كانت قبل المنتصف الثاني من

1-فاطمة عبد القادر رضوان، المرجع السابق، ص222.
2-هند شلبي، المرجع السابق،ص 282.
3-المقري، المصدر السابق، ج1، ص 134.
4-فاطمة عبد القادر رضوان، المرجع السابق، ص 223.
5- هند شلبي، المرجع السابق، ص 283.
6-المقري، المصدر السابق، ج3، ص 135.
7-المالكي، المصدر السابق، ج2، ص 125.
8-الحسين بن محمد شواط، المرجع السابق، ص171.
9-هند شلبي، المرجع السابق، ص 290.

القرن الثالث، كما ذهب إلى مصر و أخد القراءات عن تلاميذ ورش و أدى فريضة الحج، من شيوخه أبي بكر بن سيف المختص في قراءة ورشا، إسماعيل النحاس الذي أخذ عن أربعة من تلاميذ ورشا[1] رحل أيضا إلى العراق و أخذ العلم من شيوخها و فقهائها و تذكر المصادر أنه جلس فيها للإقراء ولم يدم ذلك طويلا، لأن قاضي الشيعة محمد بن عمر المرودي سعى به إلى عبيد الله المهدي فأمر بقتله في سنة 301هـ-913م[2]، يذكر الدباغ أن ابن أبي خنزير عذبه قبل قتله و هذا بطلب من عبيد الله المهدي [3].

وفي رواية عن الشيخ أبي الحسن القابسي رحمه الله قال:" أخبرني من أثق به أنه كان جالسا عند أبي خنزير إذ دخل عليه شيخ ذو هيئة جميلة وقد علاه إصفرار مع حسن الخشوع، فلما رآه ابن أبي خنزير بكى فقال له: مالذي يبكيك؟ فقال : السلطان يعني:عبد الله الشيعي، وجه إلي يأمرني بدوس هذا الشيخ حتى يموت —يعني ابن خيرون-، ثم أدخلوه إلى مجلس وبطح على ظهره وقفزوا عليه بأرجلهم حتى مات رحمة الله عليه"[4]

كان سبب قتله أنه كان فقيها نسيا عابدا من خيار المسلمين، ولعل أهم شيء فيه أنه جاهد من أجل دين الله تعالى، وكان باغضا لبني عبيد، وكانت وفاته سنة 306هـ-918م [5]، و بعد وفاته نهب ابن أبي خنزير ماله و أخذ مولده كانت له وجعلها من خدمه، ترك ابن خبرون كتابا سماه " الابتداء والتمام" وهو من أعظم المؤلفات المغربية لأنه باكورة الإنتاج الإفريقي في القراءات[6]، وكتاب "الألفات واللامات" مختص في رسم المصحف، وكتاب "الأداء" وفيه ملخص لما رواه ابن خيرون عن أصحاب ورش وقراءة نافع[7].

يعتبر محمد بن عمر بن خيرون الموجه الحقيقي الذي رسم للقراءات بإفريقية طريقها الذي (سار عليها من بعده الكثير، فهو الذي عمم قراءة نافع بالقيروان وبلاد افريقية والمغرب الإسلامي .

1-هند شلبي، المرجع السابق، ص 290.

2-نفسه، ص 284.

3-الدباغ، المصدر السابق، ج2،ص 289.

4-نفسه، ص290.

5-الحسين محمد شواط، المرجع السابق، ص 171.

6-فاطمة عبد القادر رضوان، المرجع السابق، ص 223.

7-الحسين محمد شواط، المرجع السابق، ص 171.

لكن يجدر بنا الذكر الإشارة إلى أنّ أن إفريقية لم تنتظر قدوم ابن خيرون لتعرف قراءة نافع وإنما وجدت هذه القراءة في عصر مبكر، بل وفي حياة نافع نفسه الذي لقنها لتلامذته، وعلى رأسهم يحي بن الوقار الذي رسخها في حياته.

2-في المغرب الأوسط (الدولة الرستمية) :

في المغرب الأوسط وبالتحديد في الدولة الرستمية فلا يوجد أي مصدر ذكر وجود هذا العلم في أوساط الإباضية، وهذا ما أكده إبراهيم بحاز في قوله بأنه كان هنالك قراء، لكن دون تحديد أسماء معينة اشتهرت في هذا الباب و طبقة القراء قصد بهم حفاظ القرآن الكريم لا غير. [1]

3-في الأندلس (الإمارة الأموية) :

اعتنى أهل الأندلس بمختلف العلوم و خاصة علم القراءات وقد أخذوا القراءات المشرقية[2]، وقد لقي هذا العلم عناية خاصة بهذا الإقليم، ومن الذين كان لهم الفضل في انتشار هذا العلم المقرئ والعلامة الغازي بن قيس، الذي كان له دور كبير في انتشار قراءة نافع بن أبي نعيم في الأندلس، وذلك عندما قام برحلة إلى المشرق فأخذ عن نافع المدني قراءته ونقلها إلى الأندلس، فانتشرت فيها وذاع صيتها في البلاد بفضل الله تعالى ثم بفضل ا لغازي بن قيس، و قام بتصحيح مصحفه على مصحف نافع ثلاث عشرة مرة[3].

كان الغازي بن قيس معلما ومؤدبا للتلاميذ، وهذا أمر أفاد بلا شك في سرعة انتشار هذه القراءة بين أهل الأندلس مما جعله فاتحة الجهود العلمية في علم القراءات [4].

فهو أول ناقل للقراءات في الأندلس و بفضله تقدم حتى شمل المغرب الأدنى وباقي بلاد المغرب وذلك بالأخذ برواية ورش[5].

1-إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 303.

2-أنجل جنثالث بالثيا، المصدر السابق، ص 405.

3-ابن الجزري، المصدر السابق، ص 3.

4-نبيل إبراهيم آل اسماعيل ، المرجع السابق، ص 304.

5-حسين يوسف دويدار، المرجع السابق، ص 409.

وفي عصر الخلافة برز العديد من علماء القراءات والذين أثروا في هذا الميدان بجهودهم الموفقة[1]، ومن هؤلاء العلماء المقرئ أبو عمر أحمد بن محمد الطلمنكي نزيل قرطبة ولد سنة أربعين وثلاثمائة، وكانت أول سماعه في سنة إثنين وستين وثلاثمائة [2]، رحل إلى المشرق و التقى بعلماء القراءات المشارقة ومن المصريين خاصة، وأشهر العلماء الذين أخذ عنهم هم : أبي الحسن علي بن محمد الطلمنكي الذي أخذ عنه الروايات، حيث كان هذا الأخير بصير باللغة العربية و حفظه للفقه والحساب، وكان لا يتقدمه أحد في معرفته للقراءات [3].

عاد أبو عمر أحمد بن محمد الطلمنكي وهو أوفر حظا وأكثر علما، كان ذا همة عالية في تعليم وتدريس طلبة العلم وكان لا يأخذ على ذلك مقابل، بل كان يحتسب علمه لوجه الله تعالى، أخذ ينتقل من بلد إلى آخر لينشر علمه، مما جعل الناس يتسارعون إلى حلقات درسه لما اتصف به من علم ومعرفة واسعة بعلوم القرآن، فقد كان إماما بارعا في علم القرآن ؛قرائته، إعرابه، أحكامه، ناسخه ومنسوخه، ومعانيه.[4]

المبحث الثاني: أشهر المفسرين في المغرب الإسلامي .

اعتنى أهل المغرب الإسلامي بالتفسير باعتباره أحد أهم جوانب القرآن الكريم، فلا شك أنه تلقى عناية كبيرة من أهل بلاد المغرب، كيف لا وهو مرتبط بكتاب الله والتدبر في معانيه، ومقاصده وفهمه، ومن أشهر المفسرين الذين تركوا بصماتهم في هذا الباب نذكر:

1-في المغرب الأدنى (دولة الأغالبة):

لقد شهدت إفريقية أشهر المفسرين وهو أبو زكريا يحي بن سلام بن أبي ثعلبة البصري، ولد سنة 124هـ، وهو من العلماء الذين وفدوا إلى القيروان واستوطنوا بها، كان من الحفاظ الفضلاء [5]، عاصر دولة الأغالبة، لكننا لا نجزم إن كانت معاصرته لهم أثناء إقامته بإفريقية أم بعد رحيله عنها إلى مصر، إذ لا تذكر المصادر السنة التي خرج فيها من إفريقية[6].

1-نبيل إبراهيم آل اسماعيل ، المرجع السابق، ص 304.

2-ابن الجزري، المصدر السابق، ص 733.

3-نفسه ، ص 656.

4-نبيل إبراهيم آل إسماعيل ، المرجع السابق، ص 305.

5- الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 322.

6- فاطمة عبد القادر رضوان، المرجع السابق، ص 227.

انتقل مع أبيه إلى البصرة وكانت آنذاك عاصمة علمية كبيرة بفضل وجود العديد من العلماء وشيوخ العلم بها، تعلم ونشأ على أيدي شيوخ كبار كثيرين[1]، وكان على رأسهم مجموعة من التابعيين، كما أخذ عن مالك بن أنس الذي روى بدوره عنه ثمانية عشر حديثا، وعن الليث بن سعد أيضا [2]، روى أحاديث كثيرة بين ستة آلاف و ثمانية آلاف حديث[3].

بعد حصول ابن السلام على ثقافة واسعة على أيدي بعض الثابعين و كبار شيوخ العلم[4]، انتقل إلى القيروان وهو في كامل النضج العلمي وقوة العطاء مما أهله لأن يتصدر للتدريس ويألف كتابه في تفسير القرآن، وهو التفسير الذي ليس لأحد من المتقدمين مثله[5]، فهو تفسير كامل للقرآن، عرف حتى الآن[6]، وأقدم مجهودات علماء إفريقية العلمية في التفسير، فهو في هذا الشأن يعتبر فاتحة بواكير المصنفات في التفسير، وهو كذلك التفسير الذي أفسح الطريق إلى تزايد مصنفات التفسير فيما بعد [7]، ولقد وصل هذا التفسير عن طريقين :

-الأولى عن طريق أبنه محمد الذي كان له عناية كاملة بالحديث ومعرفة برجاله.

-الثانية عن طريق أبي داوود أحمد بن موسى بن جرير الأزدي العطار، الذي اشتهر بطلب العلم، عن طريقته انتشر تفسير ابن سلام بالأندلس وبالمشرق .[8]

إن التفسير المروي عن ابن سلام اعتمد فيه على التفسير بالمأثور والمنقول، لأن عدد التابعيين الذين أخذ عنهم كان كثيرا [9]، ثم انتقل هذا التفسير عن طريق الرواية إلى الأندلس حيث انتشر وتلقاه الشيوخ والطلبة وأقبلوا عليه، واهتم بتلخيصه عالمان أندلسيان وهما : أبو عبد الله محمد بن أبي

1-إختص عبد السلام من أخذ منهم العلم، فبلغ عددهم ثلاثمئة وثلاثة وستين عالما. ينظر:الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 322.

2-وسيلة بلعيد بن حمدة، المرجع السابق، ص75-76.

3-الدباغ، المصدر السابق ، ج1، ص 322.-323.

4-عددهم أربعة وعشرون تابعا وإمرأة تحدث عن عائشة رضي الله عنها . ينظر: الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 322.

5-الداودي، المصدر السابق، ج2، ص 372.

6-الحسين بن محمد شواط، المرجع السابق، ص 169.

7-يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ج1،ص 417.

8- وسيلة بلعيد بن حمدة، المرجع السابق، ص76.

9-محمد عليلي، المرجع السابق، ص 303.

زمنين [1] الذي ذكر في تلخيصه بيان الهدف من تأليفه لهذا المختصر، ووصف تفسير ابن سلام وقد فرق ما هو مروي عنه بقوله:" قال يحي : وبين ما هو من تفسيره وزيادته بقوله قال محمد، والعالم الثاني هو عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الأنصاري وهو من رجال الحديث والتفسير وممن قرأ بالقيروان"[2].

لقد اهتم العلماء كثيرا بهذا التفسير ونوهوا به مشرقا ومغربا، وصف ابن الجزري هذا التفسير بقوله:" وسمع الناس بها –القيروان– كتابه في تفسير القرآن، وليس لأحد من المتقدمين مثله"[3]، ولعل الجدير بالذكر أن هذا التفسير بقي منه أجزاء عديدة بتجزئة مؤلفها نفسه، حيث يقع في 30 جزء أي ما يعادل ثلاثة مجلدات ضخمة بعرف اليوم[4]، إلى جانب التفسير ترك ابن سلام مؤلفات أخرى في الحديث والفقه ومن هذه المؤلفات:

1–كتاب "الجامع في الحديث": هو مجموعة كبيرو من مرويات يحي ابن سلام للحديث على نمط الموطأ، يوجد نسخة منه في مكتبة عقبة بالقيروان، يرجع تاريخها إلى القرن الثالث هجري .

2–كتاب "الأشربة": وهو بخط أبي العرب، أيضا يوجد نسخة منه في مكتبة القيروان.[5]

لعل الاجتهادات الفقهية التي توصل إليها ابن السلام تدل على استقلاله في الرأي، حيث اعتمد في تفسيره على مناهج، ولعل المنهج الذي اتبعه هو أنه لا يتعرض إلى اختلافات المذاهب في تفسير الآيات، وإنما كان اعتماده على الآراء السلف وبعض من أراء مالك، ولم يقتصر ابن سلام على عرض هذه الآراء بل كان يرجح بينها ويقدم ما يرجحه ويعقب عليه ويقول :"وبه أخذ يحي ".[6]

اعتمد أيضا على إيراد أسباب النزول، وأخبار السلف و التعرض إلى آيات العقيدة والأحكام وبعض المباحث في علوم القرآن كنزوله وفضائله وفواتح سوره[7].

1–يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ج1، ص 417.

2–وسيلة بلعيد بن حمدة، المرجع السابق، ص 78.

3–ابن الجزري، المصدر السابق، ج2، ص 325.

4–محمد الفاضل بن عاشور، التفسير ورجاله، مجمع البحوث الإسلامية، (د.ب)، 1390هـ، ج13، ص 28.

5–وسيلة بلعيد بن حمدة، المرجع السابق، ص 80.

6–فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، المرجع السابق، ص 15.

7–وسيلة بلعيد بن حمدة، المرجع السابق، ص 81.

وبذلك تمثلت أركان منهجه في العناصر التالية : تفسير القرآن بالقرآن، تفسير القرآن بالحديث، تفسير القرآن بالمأثور عن الصحابة والتابعين، وتفسير القرآن بأسباب النزول.

أ–تفسير القرآن بالقرآن:

عني ابن سلام بتفسير القرآن بالقرآن بنفسه، وهو أعلى المراتب في التفسير، إذ به يستطيع المفسر الوصول إلى المعنى الصحيح، لأن القرآن وحدة متكاملة و مترابطة [1]، ومن الآيات التي يكتفي ابن سلام في تفسيرها بذكر آية قوله تعالى:﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾[2] بقول هي كقول سبحانه وتعالى: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾[3]، وقال في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾[4] يقول ابن سلام هي قوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾[5]، الملاحظ أن طريقة تفسير القرآن بالقرآن التي اعتمدها ابن سلام قد أغنته عن الوقوع في الجدل المذهبي التي تثيره الآية يسن مختلف المذاهب، ومثال ذلك تفسيره لقوله تعالى:﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ ﴾[6] مثل قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[7] مكتفيا بذلك، واقفا عند هذا الحد، متجاهلا الجدل الذي دار حول الاستواء على العرش بين أصحاب مختلف المذاهب الكلامية الذي دفعهم إلى التأويل والتخريج وحمل الكلام إلى غير محمله الظاهر.[8]

1–وسيلة بلعيد بن حمدة، المرجع السابق، ص 82.

2–سورة مريم ، الآية 79.

3–سورة النبأ، الآية 30.

4–سورة الروم، الآية23.

5–سورة القصص، الآية73.

6–سورة الرعد، الآية02.

7–سورة طه، الآية 05.

8–وسيلة بلعيد بن حمدة، المرجع السابق، ص 83.

ب- تفسير القرآن بالحديث:

من مصادر التفسير عند ابن سلام الحديث الذي فسر به الآيات القرآنية، ومن بين أمثلة تفسير ابن سلام القرآن بالحديث الشريف قول الله تعالى :﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾[1]، يقول ابن سلام لا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه، ثم نقل حديثا فسه وصف لحملة العرش جاء فيه أنه صلى الله عليه وسلم قال : "أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجله في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنه إلى عاتقه حفقان الطير مسيرة سبع مائة سنة يقول سبحانه وتعالى حيث كنت".[2]

ج-التفسير بالمأثور عن الصحابة والتابعين:

اعتمد ابن سلام في تفسيره إلى إيراد الروايات المختلفة في تفسير الآيات القرآنية، وأنت أغلب مروياته ترجع إلى ابن عباس وعلي ابن أبي طالب، وقد بذل جهدا كبيرا في جمع المأثور عن التابعين الذين أراد أخذ العلم منهم[3]، ومن أمثلة هذا التفسير أنه فسر الظلم بالشرك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[4]، فسر ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ ﴾ أي لم يخلطوا إيمانهم بظلم أي بشرك، وذكر سنده في التفسير فقال الحسن بن حماد عن الحسن: قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية ففزع منها، فأتى أبي بن كعب فقال: يا أبا المنذر: إن في كتاب الله آية أحزنتني، فقال : آية يا أمير المؤمنين ؟، فقال : فقال له: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فأينا لم يلبس إيمانهم بظلم؟ ففسره له ألم يلبسوا أيمانهم بظلم قال الشرك[5].

1-سورة النمل، الآية 26.

2-وسيلة بلعيد بن حمدة، المرجع السابق، ص 84.

3-محمد عليلي، المرجع السابق، ص 305.

4- سورة الأنعام، الآية 82.

5-وسيلة بلعيد بن حمدة، المرجع السابق، ص 85.

6-سورة لقمان، الآية 13.

و ذكر له قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [6].

د–التفسير بأسباب النزول :

اعتمد أيضا على أسباب النزول بشكل كبير، وقد وجدت عنده أسباب نزول بعض الآيات التي لم يعثر عليها في المصادر المتخصصة، وبهذا اعتبر تفسيره مصدرا هاما في هذا المجال[1]، ومعلوم أن بيان سبب النزول طريق في فهم معاني القرآن وبيان مشكله[2]، إن منهج بن سلام في اعتماده لبيان معاني القرآن بأسباب النزول متنوع، فهو تارة يفسر الآية بالسبب مع ذكر السند في الأول الرواية، وتارة يوردها في آخر الرواية، وأحيانا يكثر الروايات، لا يعتمد على واحدة أو إثنتان، وهذا مثال على اكتفائه في في تفسير الآية بذكر سبب نزولها مع إثبات السند، في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ ﴾[3]، وقد فسرها بذكر الرواية التالية : حدثني الفرات عن طاووس أن رجلا قال : يا رسول الله أني أجل أفق المواقف، أريد وجه الله وأحب أن يرى مكاني، فلم يرد عليه الرسول شيئا، فنزلت الآية.[4]

يعتبر تفسير بن سلام أول تفسير ألف في القيروان في نهاية القرن الثاني والذي يعد اليوم أقدم مجهودات علماء إفريقية العلمية في التفسير، فهو فاتحة المصنفات للتفسير، فله أهمية علمية و تاريخية ليومنا هذا . وتوفي ابن سلام في سنة 200هـ /815م.

2– في المغرب الأوسط (الدولة الرستمية):

اعتني أهل المغرب الأوسط بتفسير القرآن باعتباره المصدر الأول للتشريع، وفهمه هو فهم أحكامه وكل ما يتعلق به، وهذا ما أشارات له المصادر والمراجع الإباضية بأن عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية ألف كتابا في التفسير، لكنه فقد ولم يصلنا منه شيء[5]، لكن بعد ذلك عرفت الدولة الرستمية مجموعة من المفسرين خاصة في جبل نفوسة وأشهرهم :

1–وسيلة بلعيد بن حمدة، المرجع السابق، ص 86.

2– حسين بن محمد شواط، المرجع السابق، ص 170.

3–سورة الكهف، الآية 110.

4–وسيلة بلعيد بن حمدة، المرجع السابق، ص 86.

5–محمد عليلي ، المرجع السابق، ص 305.

2-1-محمد يانس الدركلي النفوسي بابن منيب: (200-250هـ/ 815-864م)

لقد تفرع علم التفسير لقسمين : القسم الأول تفسير نقلي ويعتمد في ذلك على الآثار المنقولة عن السلف و الصحابة والتابعين، والثاني تفسير عقلي، وكثير من الصحابة اتبعوا هذا الأسلوب كإبن عباس، وهذا النوع الذي اهتم به علماء نفوسة في تفسيرهم لكتاب الله تعالى، ومن هؤلاء الشيخ أبو المنيب بن يانس الدركلي نسبة إلى قرية دركل[1]، من الطلاب الأوائل الذين درسوا على حملة العلم، درس على يد مجموعة من الشيوخ والفقهاء من بينهم إسماعيل بن درار القدامسي[2]، لقد جاء أبو المنيب إلى جبل نفوسة حيث طالب الإمام عبد الوهاب في تيهرت من جبل نفوسة مائة عالم من علماء التفسير لمناظرة المعتزلة الواصلية[3]، حيث أن الجبل كان في هذه الفترة غاصا بالعلماء، وبعد تشاور العلماء قالوا: لما هذا العدد و ققروا أن يرسلوا ةاحدا يقوم مقام المئة، فاستعرضوا الأسماء فاجتمع رأيهم على أبي المنيب [4].

عرف أبو المنيب بتعمقه في معاني كتاب الله تعالى حيث أنه أخذه ممن وثق به[5] وفي هذا الصدد يقول عن نفسه:" أخذت تفسير القرآن كله من الثقات، وتعلمته عنهم، إلا حرفا واحدا أو حرفين "، فهو من مفسري كتاب الله تعالى تفسيرا شفويا، إذ لا تذكر عنه المصادر عنه تأليفا و لكنها تؤكد على علمه بالقرآن و علومه، إلا أنه استغاثت به تيهرت الرستمية، إذ يعتبر حلقة في سلسلة نسب الدين .[6]

1- تاديوش ليفيتسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراءهم، تر: عبد الله زارو، مؤسسة تاوالت الثقافية، الولايات المتحدة الأمريكية، 2006، ص 34.

2- محمود حسين كوردي ، الحياة العلمية في جبل نفوسة و تأثيراتها على بلاد السودان الغربي خلال القرون 2-8هـ/ 8-14م، مؤسسة تاوالت الثقافية، طرابلس ، 2008، ص 141.

3-هي مذهب واصل بن عطاء الغزال من أئمة البلاغة و علم الكلام، وطائفته من المعتزلة، وقد نشرت الواصلية المناضلة مذهب الإعتزال في مختلف بلدان العالم، حيث بعث واصل بن عطاء بعدد من رجاله إلى اليمن و الجزيرة و أرمينية لإذاعة المذهب. ينظر : أبو زكريا، المصدر السابق، ص 101.

4- علي يحي معمر ، الإباضية في موكب التاريخ، مؤسسة توالت الثقافية، طرابلس، ج2، ص 265.

5-محمد عليلي، المرجع السابق، ص 305.

6-إبراهيم بحاز و آخرون، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول هجري إلى العصر الحاضر، مرا:محمد صالح ناصر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1421هـ /2000م، ج2، ص 396.

وهو أيضا من الإثني عشرة الذين اشتهروا في جبل نفوسة بإجابة الدعاة في زمن واحد، كما اختص بكثرة الكرامات والتفرغ لفعل الطاعات كالصلاة، حيث يذكر أنه كانت له سبعة مساجد يداوم الصلاة فيها بالرغم من تقدمه في السن [1]، كان يقوم الليل حيث أنه عندما يقوم بصلاة ركعتين، يقرأ نصف القرآن في الركعة الأولى، والنصف الثاني في الركعة الثانية [2].

تخرج على يده العديد من العلماء منهم أبو الربيع سليمان بن هارون اللالوتي، كان من العلماء يشيدون بغزارة علمه، فلقد كانت أراؤه و فتواه وأقواله لا تخلوا من الفقه والأصول وعلم الكلام، كما كان يقصده الناس للسؤال عن المشكلات الفقهية والعلمية، وتفسير ما صعب عليهم من آيات القرآن، فكان يقدم لهم الإجابات المقنعة [3].

أنشأ الشيخ أبو المنيب محمد بن يانس الدركلي مدرسة في قرية الجزيرة[4]، وهي عبارة عن بناء تحت الأرض موصول بالمسجد، وهذا يدل على قدم المسجد، ومن الملاحظ أنه لم يؤسسها في قريته بدركل وذلك كان من عادات علماء جبل نفوسة حيث يؤسسون المدن ويبنون المساجد خارج قراهم إسهاما منهم في نشر العلوم في ربوع جبل نفوسة، استمر إشعاع هذه المدرسة حتى القرن الحادي عشر حيث درس فيها علم التفسير الذي كانت له أهمية كبيرة في تلك الفترة[5].

ورغم أن الشيخ أبو المنيب كان من أكبر المفسرين في عصره، ورغم المكانة التي حضي بها، إلا أنه لم يترك مؤلفا يدل على هذه المكانة، و توفي سنة 250هـ-864م.

2-2-لواب بن سلام التوزي المزاتي، توفي بعد سنة 273هـ /887م:

هو من علماء قبيلة مزاتة، أصله من أغر ميمان بجبل نفوسة، نشأ بين أحضان عائلة علم وحكم، فعمه وجده وأخوا جده اشتركوا في موقعة مغمداس مع الإمام أبي الخطاب سنة 142هـ /759م [6]، أوتي الحكمة منذ صغر سنه، وأخذ العلم عن أبي كبه، وبعض الأخبار عن أبو صالح

1-محمود حسين كوردي، المرجع السابق، ص 141.

2- الشماخي، المصدر السابق، ص 146.

3-محمود حسين كوردي، المرجع السابق، ص 141.

4-قرية من قرى جبل نفوسة، سميت الجزيرة لوقوعها تحت الجبل، يحيط بها الوديان من كل الجهات، وهي شبه مثلث في شكلها، قاعدتها عند الغرب ورأسها إلى المشرق، ينظر: محمود حسين كوردي، المرجع السابق، ص 68.

5-نفسه.

6-إبراهيم بن بكير بحاز و آخرون، االمصدر السابق، ص 350.

النفوسي، كان شيخا إماما عالما بالأصول والفروع داعيا لمعالم الإسلام [1]، رحل إلى الحج والتقى مع جمع من الحجاج وعلماء عمان، كانت له مسائل في علم الكلام نقل بعضها الورجلاني في كتابه " الدليل والبرهان" [2]، من مؤلفات لواب بن سلام "شرائع الدين" الذي حققه كل من الشيخ سالم بن يعقوب والمستشرق الألماني شفارتز، طبع طبعة غير مرخصة بعنوان محرّف وهو "الإسلام وتاريخه من وجهة الإباضية"، ويعتبر هذا الكتاب في نظر المستشرق البولوني تاديوش ليفتسكي[3] أقدم كتب السير في شمال إفريقيا[4].

قام بتفسير جزء من سورة الشورى في كتابه "شرائع الدين" [5]، اعتمد من خلاله على المأثور من أقوال الصحابة والتابعين أمثال ابن عباس والحسن البصري، أما المنهج الذي سار عليه في تفسيره للقرآن الكريم هو تفسير سور القرآن آية آية، و يذكر سبب نزولها أولا ثم يذكر المشابه لها من الآيات، وهذا المنهج يعرف بتفسير القرآن بالقرآن، كما أنه يستعين بالأحاديث التي تبين وتوضح الآية[6].

2-3-هود بن محكم الهواري الأوراسي توفي :280هـ893م :

عالم من قبيلة هوارة، عاش إلى نهاية القرن الثالث هجري، أخذ العلم عن أبيه محكم الهواري، قيل في تيهرت وقيل فالقيروان، وهذا ما رجحه الشيخ بلحاج شريفي، حيث أن أباه كان قاضي تيهرت في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب[7]، و يعتبر أشهر مفسر في الدولة الرستمية وتداولته المصادر الإباضية، حيث تلقى تعليمه في تاهرت، وكان يفسر القرآن الكريم بالمأثور من الأقوال [8]،

1-الشماخي، المصدر السابق، ص 208.

2- إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون، المصدر السابق، ص 350.

3-تخرج من معهد فقه اللغات الشرقية ، بجامعة كراكوفيا، كان رئيسا للدراسات العربية في نفس الجامعة، عرف باختصاصه باللغة الأمازيغية خاصة ما اختص بتاريخ الإباضية و عقائدها، ينظر: تاديوش ليفيتسكي، المصدر السابق، ص 4.

4-إبراهيم بن بكير بحاز و آخرون، المصدر السابق، ص 350.

5-إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 299.

6-محمد عليلي، المرجع السابق، ص 306.

7- إبراهيم بن بكير بحاز و آخرون، المصدر السابق، 443.

8- يشمل التفسير الذي جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض أياته، حيث ما أجمل في آية فسر في آية أخرى، ينظر:خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، ط2،، بيروت، 1406هـ1986م، ص 111.

وقد اتبع في ذلك شروط ثمانية هي : معرفة المكي و المدني، الناسخ والمنسوخ، التقديم و التأخير، المقطوع والموصول، الخاص والعام، العام والإضمار، و اللغة العربية[1].

لم تحفظ لنا خزائن الإباضية سوى مؤلف واحد لهود بن محكم الهواري، وهو تفسير كتاب الله العزيز ، وهو تفسير جليل ولأهميته تذكر المصادر أن رجلين تنازعا عليه وتخاصما فيه، كل يدعي ملكيته، حتى كادت عشيرتهما تقتتلان، مما أدى بالقاضي أبي محمد جمال المدوني إلأى تقسيمه إلى نصفين، فقام كل منهما بنسخ النصف الآخر، حققه الأستاذ بلحاج شريقي تحقيقا علميا، وطبع فيه أربعة مجلدات[2] ، و يعتبر هذا التفسير مرجعا في غاية الأهمية فهو ثاني تفسير للمذهب الإباضي في المغرب الإسلامي[3] بعد تفسير عبد الرحمن بن رستم الذي لم يبقى منه أثر، وعلى هذا الأساس يعد أقدم تفسير في المغرب الأوسط، هذا ما أكد عليه إبراهيم بحاز الذي استعرض أهمية هذا التفسير عند الإبلاضية[4].

نلاحظ أنّ هود بن محكم الهواري في تفسيره وظف كثيرا التفسير بالمأثور، وطرائقه واضحة لكن من يشتغل بالتفسير، فهود في تفسيره لكتاب الله اعتمد على مجموعة من المناهج حيث أنه فسر القرآن بالقرآن، ثم بالحديث النبوي، وبأقوال الصحابة، وهذه أمثلة من تفسيره:

2-3-1-تفسير القرآن بالقرآن: اعتمد هود تفسير القرآن بالقرآن وقدمه على غيره، بل نجده أساس تفسيره، فهو بالنسبة إليه الطريق الضروري لكل مفسر أراد أن يعرف المراد الحقيقي من الآية الكريمة[5]، وقد تمثل تفسيره للقرآن بالقرآن في جوانب كثيرة أهمها :

أ-الاستدلال على معنى كلمة مجملة بما فصل في مكان آخر:

من أمثلة هذا التفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾[6]، إن لفظة كلمات في الآية مبهمة، لكنها جاءت مفسرة في موضع أخر

1-محمد عليلي، المرجع السابق، ص 307.

2-إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون، المصدر السابق، ص 443.

3-إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 302.

4- نفسه .

5-سعاد زغيشي، المرجع السابق، ص 110.

6- سورة البقرة، الآية 37.

لذلك نجد هود أشار إلى تفسير آخر، حيث يقول في معنى كلمات، ذكروا عن ابن عباس قال موصول لهما[1] :﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[2].

كذلك فسر قوله تعالى : ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾[3]، كلمة العهد في الآية مبهمة إلا أنها جائت مفسرة في آية أخرى قوله تعالى : ﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾[4]، وفد فسر هود :﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ كقوله تعالى :﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[5].

ب–تعزيز ما ورد في آية بما نص عليه في آية أخرى:

وذلك بالإشارة على أن آية المستشهد بها تدل على الآية الأولى، كما ورد في قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾[6] يقول هود كقوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾﴾[7] وفي تفسير آخر يقول تعالى : ﴿لَا يَسْمَعُونَ

1–هود بن محكم الهواري، المصدر السابق، ج1، ص 100.

2–سورة الأعراف ، الآية 23.

3–سورة البقرة، الآية 40.

4–سورة المائدة،الآية 12.

5–هود بن محكم الهواري، المصدر السابق، ج1، ص 101.

6– سورة الإنسان، الآية 04.

7– سورة غافر، الآية 71.

حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1] يقول كقوله تعالى : ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾[2].

ج–الإحالة على الآية المفسرة:

حيث نجده يحيل إلى الآيات المفسرة بذكر مواضعها وأحيانا أخرى يذكر سورة دون ذكر مواضعها [3]،ومن أمثلة ذلك:

–الإحالة على الآية المفسرة بذكر مواضعها : في قوله تعالى : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾[4] بقول هود : و تفسيره في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾[5]

–الإحالة على الآية المفسرة دون ذكرها : ومن أمثلة هذا التفسير قوله تعالى : ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾﴾[6] هنا يقول هود وقد فسرنا ذلك في سورة هود ويشير إلى الآيات 37-38-39-40 من سورة هود [7].

1–سورة الأنبياء ، الآية 102.

2– سورة الزخرف، الآية 71.

3– سعاد زغيشي ، المرجع السابق، ص 111.

4–سورة الحديد ، الآية 11.

5– سورة البقرة، الآية261.

6– سورة المومنون، الآية 26.

7– هود بن محكم الهواري، المصدر السابق، ج2، ص 224–225.

كما نجد هود في تفسيره للقرآن لا يقف في بعض الأحيان عند الآية الواحدة بل يسوق عدة آيات لتعزيز المعنى، وأحيانا يحيل مباشرة إلى الآية المفسرة بقوله : وهو قوله أو مثل قوله[1]، أو قال في آية أخرى، أو قد فسرناه في سورة كذا أو نظيرها كقوله تعالى[2]، وأحيانا يورد النص مباشرة [3].

2-3-3-تفسير القرآن بالحديث النبوي:

تعد السنة النبوية شارحة للقرآن الكريم وموضحة له، وقد جاءت أساسا لخدمة النص القرآني، ويتلخص منهج بن محكم في التفسير بالحديث النبوي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾[4] ثم يذكر هود حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم يبين فيه من استثناهم في قوله لقول الرسول :" يعني الشهداء فإنهم قالوا ما أحسن هذا الصوت كأنه أذان في الدنيا، فلم يفزعوا ولم يموتوا".[5]

ونجد تفسره أيضا لقوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[6] يقول هود ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا، ومن لم يكونا فيه لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا، من نظر من فوقه في الدين ومن دونه فالدنيا فاقتدى بهما كتبه الله شاكرا صابرا ".[7]

1-هود بن محكم الهواري، المصدر السابق، ج1، 199.

2-نفسه، ج2، ص 217.

3-نفسه، ج4، ص 332.

4- سورة النمل، الآية 87.

5- هود بن محكم الهواري، المصدر السابق، ج3، ص 267-268.

6-سورة الحجر، الآية 88.

7-هود بن محكم الهواري، المصدر السابق، ج2، ص 355.

كذلك في قوله تعالى : ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١﴾[1] قال هود : ذكر الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" نصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهرا "[2].

نجد هود يستشهد بالحديث في الحكم على مسائل فقهية، وهذا النوع وجد في تفسيراته كثيرا،ومن أمثلته : تفسيره لقوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٧﴾[3]، يقول هو :ذكر الحسن أن رجلا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" والله حج بيت الله لمن استطاع إليه سبيلا، ثم رد الرجل : أفي كل عام يا رسول الله، فسكت النبي ثم قال : والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ما قمتم بها، ولو تركتموها لكفرتم، فدروني ما تركتكم"[4]، واعتمد كذلك على الحديث الشريف في أسباب النزول ومثال ذلك ما ورد في سورة المجادلة قصة المرأة التي جاءت للنبي فقلت: يا رسول الله إنه حين كبرت شيء ظاهر مني زوجي، فلم يجب عليها، فأنزل آية الطهارة.[5]

2-3-2- تفسير القرآن بأقوال الصحابة:

لقد نقل هود في تفسيره كثيرا من أقوال الصحابة و أرائهم، وذلك لتوضيح المعنى، أو إزالة الإبهام، أو التفسير أو لبيان حكم فقهي، أو للتذكير بقراءة معينة كما نجد لهم أقوالا في القصص القرآني والأخبار[6]، ولقد حضي الصحابة أمثال ابن العباس و عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب بمكانة كبيرة في تفسيره وأعطى الأولية لابن العباس [7]، ومن أمثلة هذا التفسير جاء في قوله تعالى:

1-سورة آل عمران، الآية 150.

2-هود بن محكم الهواري، المصدر السابق، ج1، ص 320.

3-سورة آل عمران، الآية97.

4- هود بن محكم الهواري، المصدر السابق، ج1، ص 301. و سعاد زغيشي ، المرجع السابق، ص 118.

5-هود بن محكم الهواري، المصدر السابق، ج4، ص 304.

6-سعاد زغيشي، المرجع السابق، ص 124.

7- سامي محمود محمد أحمد، منهج الشيخ هود بن محكم الهواري في تفسيره، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في علوم القرآن، الجامعة الإسلامية، غزة، 2002م، ص 86.

﴿۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾[1]، يقول هود : ذكروا عن ابن العباس أنه كان يقول:هي المناسك[2]، وكذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى على لسان إبراهيم:رَبَّنَآ ﴿ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا تَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨﴾ [3].

يقول هود تفسير ابن العباس أن إبراهيم جاء بهاجر وإسماعيل رضي اله عنهما حتى وضعهما بمكة ثم رجع، فلم وقفا نادته هاجر يا إبراهيم إنما أسألك فالتفت، فقالت له من أمرك أن تضعني بأرض ليس بها زرع ولا ضرع ولا أنيس؟ قال : ربي، قالت إذ لا يضيعنا، فلما ولّى إبراهيم قال : ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلت" أي من الحزن[4].

2-3-3- تفسير القرآن بأقوال التابعين:

لقد سعد التابعون برؤية الصحابة فتتلمذوا على يدهم وكان لهم أثرا كبيرا في ظهور الإتجاهات ومنهم: سعيد بن جبير، الضحاك بن مزاحم الكلبي و أبي صالح [5] ومن أمثلة ما فسروا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾[6] يقول هود قال بعضهم: يحول بين قلب المؤمن وبين معصيته بفعله وبين الكافر وبين طاعته بفعله [7].

هكذا اعتمد هود بن محكم على تابعين الذين كان لهم مكانة كبيرة في تفسيره وأن الأقوال غير المعزوة لأحد، والتي هي في الأغلب للتابعين أو لتابعي التابعين.

1-سورة البقرة، الآية 124.

2-هود بن محكم الهواري، المصدر السابق، ج1، ص 142.

3-سورة إبراهيم، الآية 38.

4-هود بن محكم الهواري، المصدر السابق، ج2، ص 333-334.

5-نفسه، ج1، ص 71.

6- سورة الأنفال، الآية 24.

7- هود بن محكم الهواري، المصدر السابق، ج2، ص 86.

3- في الأندلس (الدولة الأموية):

حظي علم التفسير بأهمية بالغة في الأندلس ومن أكبر المفسرين الذين اعتمد عليه أهل الأندلس هو بقي بن مخلد، كان رجلا صالحا متواضعا من أهل قرطبة ومن الحفاظ المحدثين وأئمة الدين والزهاد الصالحين، قام بجمع الأحاديث بالرواية[1]، كان يصدر أرائه في المسائل بحسب ما يتراء له[2] معتمدا في ذلك على الكتاب، ولم يرضى فقهاء الأندلس عن مذهبه، إذ كانوا يتعصبون لرأي مالك، كان بقي بن مخلد متخيرا لا يقلد أحدا وبهذا انتظم علما عظيما، فصارت تآليفه قواعد للإسلام، له كتاب سماه:" تفسير القرآن الكريم"[3]، وهو كتاب اختص في تفسير كتاب الله العزيز، ويعتبر هذا التفسير من أهم الكتب التي كان معتمدا عليها من قبل الأندلسيين، قال عنه الحموي في كتابه معجم الأدباء:" هو الكتاب الذي أقطع قطعا لا أستثني فيه أنه لم يؤلف في الإسلام مثله، ولا تصنيف محمد بن جرير الطبري ولا غيره"[4] كما ذكره ابن حزم وقال عنه: فمن مصنفات أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد في كتابه في تفسير القرآن، فهو الكتاب الذي أقطع قطعا، والذي لم يؤلف مثله في الإسلام"[5].

روى عنه جماعته منهم : أسلم عبد العزيز بن هاشم القاضي، ومن أهل المغرب عبد الله بن يونس المرادي، كان هذا الأخير مختصا كثيرا ببقي بن مخلد، وبفضله انتشرت كتبه[6]، كما نجدله أيضا مصنفا في الحديث الذي حاز مكانة كبيرة، وهو المصنف الذي صنفه ورتبه على أسماء الصحابة رضي الله عنهم، فروى فيه ثلاثمائة وألف حديث، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه، وأبواب الأحكام، فهو مصنف ومسند.[7]

1-أنجل جانثالت بالثيا، المصدر السابق، ص 407.

2-المقري، المصدر السابق، ج1، ص 474، محمد عليلي، المرجع السابق، ص 309.

3-نفسه .

4-ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2،ص 447.

5-أنجل جانثالث بالثيا، المصدر السابق، ص 407.

6- الضبي، المصدر السابق، ص 302.

7- أنجل جانثالث بالثيا، المصدر السابق، ص 408.

تلقى علم التفسير بعناية كبيرة من طرف أهل الأندلس خاصة وأنه علم اختص بتفسير القرآن وتبيين معانيه، وهذا ما أدى إلى انتشار كتب التفسير على نطاق واسع وتداولها في المغرب والأندلس .

وفي الأخير يمكننا القول إن القرن الثالث الهجري مثل نضجا في علم القراءات وعلم التفسير، سواء في المغرب الأدنى أو الأوسط أو الأندلس، وذلك من خلال القراء والمفسرين الذين ذاع صيتهم في هذه الفترة، والذين دعموا القراءة على طريقة نافع وتفسير القرآن والوصول إلى فهم معانيه و أحكامه وكل ما تعلق بكتاب الله العزيز .

خـــاتمة

خلصنا من دراستنا المتعلقة بعلوم القرآن في المغرب الإسلامي خلال القرنين الأول و الثالث الهجريين الموافقين للسابع و التاسع الميلاديين إلى مجموعة من الاستنتاجات، وقد لخصناها في النقاط التالية :

-كانت لعملية الفتح الإسلامي وما أتبعها من استقرار العناصر المشرقية المسلمة واتخاذهم لمؤسسات دينية وثقافية دور هام في نشر الدين الإسلامي، فمع اتساع الفتوحات الإسلامية زادت الحاجة إلى مدارس لتعليم القرآن وشارك الصحابة رضوان الله عليهم في فتح إفريقية منذ أول غزوة لبلاد المغرب الإسلامي .

- كان من بين الصحابة الذين اتخذوا إفريقية والذين كان لهم صلة بالقرآن : عبد الله بن زبير، ابن عمر، ابن عمرو بن العاص، كان هؤلاء من حفاظ القرآن الكريم وأسهموا في نشره و تلقينه.

-توسعت آفاق الرحلة العلمية واتجاه العلماء نحو العراق والشام واليمن ومصر لأخذ العلوم من أهلها، والعودة إلى بلادهم لنشر ما تعلموه.

- زيادة الاهتمام بالعلم وتشجيع السلطة السياسية لهم من أجل مواكبة إرهاصات النهضة العلمية في بلاد المغرب الإسلامي .

- تعتبر القيروان أول مدينة أنشأها المسلمون في إفريقية، فهي القاعدة الحضارية و مركز الإشعاع الحضاري الذي انتشرت منه العلوم في أنحاء بلاد المغرب الإسلامي، كما تعتبر مركز إلتقاء بين المشرق والمغرب، حيث أن دورها كان واضحا في نشر الدين الإسلامي، والتقريب بين قبائل البربر، فشيوخها من أبناء الصحابة والتابعين، وترتب عن بنائها اعتناق الكثير من البربر للإسلام.

-دخل القيروان اثنا عشر من صغار الصحابة، فمنهم من ولد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنهم عقبة بن نافع، وكان لهؤلاء الفضل في وضع بذور الحركة الفكرية في القيروان.

- اختط عقبة بن نافع مدينة القيروان، وأقاموا في وسطها المسجد الجامع، و عمرت القيروان بفضلاء الناس من الفقهاء والمحدثين والزاهدين .

-إن القرآن الكريم ظهر مبكرا في بلاد المغرب الإسلامي مع الأبطال الفاتحين أمثال موسى بن نصير وأبو المهاجر الدينار الذين عملوا على تدريسه وتفقيه الناس به، وكان في بدابة الأمر يقتصر على التحفيظ فقط .

-إضطلعت المؤسسات التعليمية كالكتاتيب والمساجد والرباطات بدور ريادي في تلقين علوم الدين وتدريسها وإرثاء الناس للأخذ بأحكام القرآن الكريم، فهي عبارة عن مؤسسات ابتدائية في تلقين القرآن، حيث كان لها تأثير غير مباشر على الحركة العلمية التي عرفتها بلاد المغرب الإسلامي .

- اهتم سكان بلاد المغرب الإسلامي بالقرآن الكريم قراءة وتفسيرا وتدبرا في آياته، باعتباره كتاب الله المنزل على رسوله الكريم، وكان الإهتمام كبيرا بعلومه، كيف لا وفهمه يقتضي ويوجب القراءة الصحيحة لألفاظه وحروفه، كما قرأه الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم .

- ظهر علم القراءات في عهد الصحابة رضي الله عنهم، وقد اقتصرت القراءة في الأول على سبعة قرّاء، بعد ذلك قرؤوا و أقرؤوا الناس بقراءة نافع و جعلوها القراءة الرسمية لكتاب اللع العزيز .

-استقرت قراءة القرآن في بلاد المغرب الإسلامي على الأخذ لقراءة نافع باعتباره مالكيا من أهل المدينة، وذلك بعد أن غلب المذهب المالكي على الحياة الدينية، وهذا ما أثر على الأندلسيين في الأخذ من أهل المدينة بمذهب مالك في الفقه ونافع في القراءة .

-عرفت الدولة الأموية بالأندلس القراءات القرآنية بصفة رسمية بمجيء أبي الحسن الأنطاكي الذي أنشأ مدرسة لتعليم الصبيان بها .

-مصدر علوم القرآن عند الأندلسيين يرجع إلى المشارقة، حتى أنهم نافسوهم في عدة علوم، فاتخذوا قراءة الإمام نافع قراءة رسمية لهم، وألقوا فيها الكثير ولم يمنعهم ذلك في التبحر في باقي القراءات، ولعل أهم اجتهاد لهم هو اجتهاد بقي بن مخلد.

-بالنسبة للتفسير ظهرت عناية أهل بلاد المغرب الإسلامي له مبكرا، حيث يذكر أن من مهد لنشأة هذا العلم هو عكرمة مولى ابن العباس حينما حل بإفريقية، لأن التفسير مرتبط بفهم أحكام القرآن.

-ظهرت مجموعة من المفسرين في بلاد المغرب الإسلامي، الذين ألفوا كثيرا من كتب التفسير والتي غلب عليها التفسير بالمأثور، لاسيما في دولة الأغالبة، وأهمهم : تفسير ابن يحي بن سلام، كما بلغ الأغالبة شأنا كبيرا في تفسير القرآن حينما اهتموا بالتفسير اللغوي للقرآن.

-فيما يخص مظاهر النشاط العلمي، أعطت حلقات العلم التي كانت تعقد بالمساجد ومنزل العلماء والفقهاء دفعا للحركة العلمية وخاصة الدينية التي شهدتها الساحة الأغلبية والرستمية.

-كان التفسير بسيط عند أهل السنة في إفريقية حيث اعتمد على شرح الألفاظ وإظهار الأحكام المستخلصة من كل آية بخلاف نظيره عند الإباضية، الذين اعتبروه ركيزة اعتقادية وأساس لظهور مناظرة أصحاب المذاهب الأخرى في تفسير الآيات القرآنية، ولعل أهم مفسر هو : هود بن محكم الهواري.

-أما بالنسبة للتفسير في دولة الأمويين في الأندلس نجد بقي بن مخلد، وهو أشهر مفسر عرف في هذه الفترة، حيث أن مصنفه عد من بين المصادر التي يستند عليها في هذا العلم .

-اختلاف التفسير في بعض الأمور العقائدية بين المالكية والإباضية .

-علم التفسير من العلوم النقلية التي لقيت اهتماما و عناية كبيرة من أهل المغرب، وظلت كتب التفسير متداولة في الأوساط العلمية، سواء في المغرب الأدنى أو المغرب الأوسط أو الأندلس .

- كل دولة من الدول المذكروة سابقا قدمت إضافات و اجتهادات في علوم القرآن، وكانت الفترة التي درسناها ما هي إلا بداية ليشهد بعدها المغرب تطورا في هذا المجال الديني .

الملاحق

-الملحق رقم 1 :

خريطة الدول المستقلة في المغرب الإسلامي .

-عبد العزيز الفيلالي ، المرجع السابق ،ص 311.

-الملحق رقم 2 :

مسجد عقبة بن نافع في القيروان .

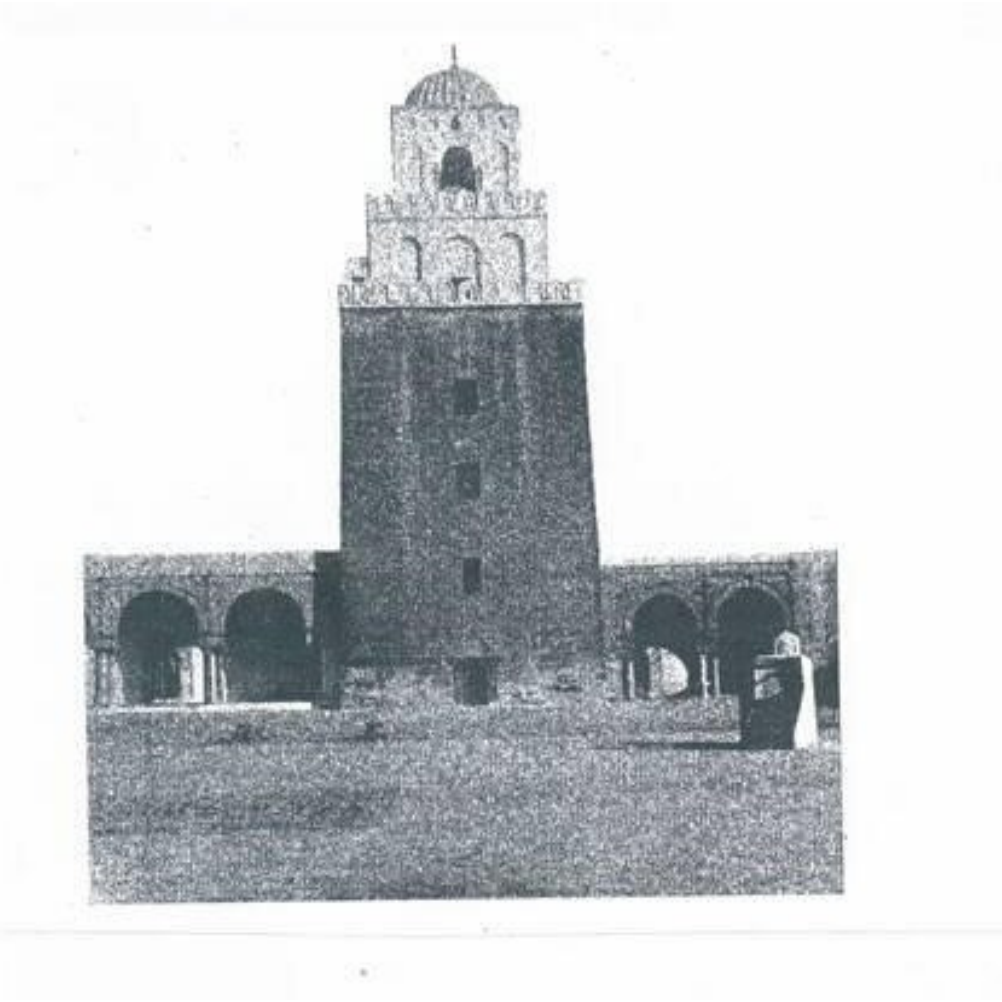

-أحمد فكري ، مساجد الإسلام (المسجد الجامع بالقيروان) ،مطبعة المعارف ،مصر ،1936 ، ص65.

-الملحق رقم 3 :

خريطة شبه الجزيرة الإيبيرية (الأندلس).

-طارق سويدان ،الأندلس التاريخ المصور ،شركة الإبداع الفكري ،ط1 ،الكويت ،2005 ، ص32.

الملحق رقم 4 :

الورقة الأولى من مجلد تفسير هود بن محكم الهواري .

-هود بن محكم الهواري ، المصدر السابق ،ج1 ،ص 255.

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

-المصادر :

1- ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير، الكامل في التاريخ،تح: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط1،بيروت،1407هـ/1987م.

2- البرادي أبو القاسم بن إبراهيم، الجواهر المنتقاة ، تح :أحمد بن سعود السيابي، دار الحكمة،ط1، لندن، 2014.

3- البستي أبو حاتم محمد بن أحمد بن حدان، مشاهير علماء الأمصار، تع: مجدي بن منصور بن سيد الشورى، دار الكتب العلمية، ط1،بيروت،1416هـ/1995م.

4- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك، الصلة، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط1، القاهرة، 1410هـ/1989م .

5- ابن تيمية تقي الدين احمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير، تح:أحمد بن صالح الطويان،دار طويق للنشر والتوزيع،ط1،دمشق،1392هـ/1972م.

6- ابن الجزري محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، غاية النهاية في طبقات القرّاء، تح: برجستراسر، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،2006م.

7- ـــــــــــ، تقريب النشر في القراءات العشر، تح: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية،ط1،بيروت،1423هـ/2002م.

8- ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد المعروف، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، مرا: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1373هـ/1954م.

9- ـــــــــــ، تاريخ علماء الأندلس، تح:بشار غوار معروف، دار الغرب الإسلامي ، ط1، تونس، 1429هـ/2008م.

10- ابن خلدون عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح :خليل شحاتة، دار الفكر، لبنان،1421هـ/2000م.

11- ـــــــــــ، المقدمة، تح: عبد الله محمد درويش، دار البلخي، ط1، دمشق، 1425هـ/2004م.

12- ابن زكريا أبي الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979.

13- ابن سحنون محمد، آداب المعلمين، تح: محمد عروسي المطوي، دار الكتب الشرقية،ط2،تونس، 1972.

14- أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان النحوي القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تح: محمود علي مكي، دار إحياء التراث، ط1، القاهرة (مصر)،1415هـ/1994م.

15- ـــــــــــ، البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1413هـ/1993م.

16- أبو زكريا يحي بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة و أخبارهم، تح: إسماعيل عربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، ط1، 1399هـ/1979م.

17- أبو زمنين عبد الله محمد، تفسير القرآن العزيز، تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة و محمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة للنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ.

18- (الضبي) أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة بن يحي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري،دار الكتاب اللبناني، ط1،بيروت، 1410هـ/1989م.

19- الجناوي أبو زكريا يحي بن الخير بن أبي الخير، الوضع، مختصر الأصول والفقه، تح: أحمد بن صالح الشيخ أحمد، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط1، عامن، 1436هـ/2005م.

20- الداودي شمس الدين بن علي أحمد، طبقات المفسرين،دار الكتب العلمية، بيروت،(د.س).

21- الدباغ أبو زيد بن محمد الانصاري الأسيدي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: محمد أبو النور و محمد ماضود، مكتبة الخانجي، مصر.

22- الدرجيني أبو العباس بن سعيد ، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة (الجزائر).

23- الدمشقي شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الفكري الجنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1، دمشق،1406هـ/1986م.

24- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار، تح:طيّار آلتي قولاج، سلسلة عيون التراث الإسلامي، إسطنبول (تركيا)، 1416هـ/1965م.

25- ـــــــــ، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط1،بيروت، 1402هـ/1982م.

26- الذهبي محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، (د.ت).

27- الرقيق القيرواني، تاريخ افريقيا والمغرب، تح: محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ط1414،1هـ/ 1994م.

28- الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف،ط2،، مصر 1973.

29- الزرقاني محمد بن العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح:فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، ط1،بيروت، 1995م.

30- الزركشي بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي، البحر المحيط في أصول الفقه، مرا: عمر سليمان الأشقر، دار النهضة للطباعة والنشر، ط2، الكويت، 1413هـ/1992م.

31- ـــــــــ، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط3، بيروت،لبنان،1400هـ.

32- الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي، تفسير الكشاف عن حقائق النتزيل و عيون الأقاويل في وجود التأويل، تع: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ط3، بيروت، 1430هـ/2009م.

33- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، (د.ب)،1387هـ/1967م.

34- الشماخي أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، اليسر، تح: أحمد بن سعيد السيابي، مطبعة النهضة، عمان، ط1، 1407هـ/1987م.

35- الشيرازي أبو إسحاق الشافعي، طبقات الفقهاء، تح : إحسان عباس، دار الرائد العرب، بيروت، (د.ت).

36- الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط1،بيروت، 1420هـ /2000م.

37- الطبرسي أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العلوم، ط1، بيروت، 1427هـم2006م.

38- المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح:البشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1938م/1430هـ.

39- المالكي أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع و النشر، القاهرة، (د.ت).

40- المالكي أبو علي الحسن بن محمد بن إبراهيم البغدادي، كتاب الروضة في القراءات الإحدى عشرة، تح: نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل، المملكة العربية السعودية، (د.م).

41- المقري أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ/1968م.

42- هود بن محكم الهواري، تفسير كتاب الله العزيز ، تح :بلحاج سعيد شريفي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان،ط.1، 1990.

43- اليحصبي أبو الفضل عياض بن موسى، ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام المذهب مالك، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1418هـ/1998م.

– المراجع :

1- إبراهيم بكير بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول هجري إلى العصر الحاضر، مرا:محمد صالح ناصر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1421هـ /2000م.

2- ابراهيم بكير بحاز، الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، المطبعة العربية، غرداية.

3- أبوالقاسم محمد كرّو،عصر القيروان، دار طلاس للدراسات والترجمة، ط2،دمشق،1989م.

4- أحمد أمين ، ظهر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط4، القاهرة، 1966.

5- ـــــــــ، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، ط11، بيروت، 1979.

6- بالنثيا أنجل جنتالث، تاريخ الفكر الأندلسي، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د.ت).

7- بشير رمضان التليسي، الإتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي، دار المدار الإسلامي.

8- بعلي حفناوي، الرحلات الحجازية، المغاربة الأعلام في البلد الحرام، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 2017.

9- تاديوش ليفيتسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراءهم، تر: عبد الله زارو، مؤسسة تاوالت الثقافية، الولايات المتحدة الأمريكية، 2006.

10- جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، موفم، الجزائر، 1984.

11- حسين أسكان، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط، المعهد المالكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2004م.

12- حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، (د.ت).

13- خليل داود الزرو، الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، دار الأفاق، ط1، بيروت، 1971.

14- سعد زغلول عبد الحميد، الإستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية العامة،العراق، (د.ت).

15- سعيد أعراب، القراء والقراءات بالمغرب، دار الغرب الإسلامي،ط1، بيروت، 1410هـ/1994م.
16- شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية، المطبعة الرحمانية، ط1، مصر، 1355هـ/1636م.
17- شوقي أبو خليل، فتح صقلية، دار الفكر، ط1، دمشق(سوريا)،1980م.
18- صالح باجية، الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، دار بوسلامة للطباعة والنشر،ط1، تونس، 1976.
19- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1984.
20- عاصم الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، (د.ت).
21- عبد الحليم بن محمد الهادي، القراءات القرآنية، تاريخها، ثبوتها، حجيتها، وأحكامها، تقديم، مصطفى سعيد الخن، دار الغرب الإسلامي، ط1،(د.ب)،1999م.
22- عبد العزيز الثغالبي، تاريخ شمال افريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تح:أحمد بن ميلاد و محمد ادريس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1407هـ/1987م.
23- عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).
24- ـــــــــــ، تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة و النشر والتوزيع، الإسكندرية.
25- عبد القادر محمد صالح، التفسير والمفسرون في العصر الحديث، دار المعرفة، ط1، بيروت،(د.ت).
26- عبد القيوم بن عبد الغفور السندي، صفحات في علوم القراءات، مكتبة الإمدادية، ط1، 1415.
27- عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية،ط2، بيروت، 1424هـ/2003م.

28- عبد الواحد ذنون طه، الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق، دار المدار الإسلامي، (د.ب)،(د.ت)

29- ـــــــــــ، الفتح و الإسقرار العربي الإسلامي في شمال افريقية و الأندلس، دار الكتب الوطنية، بنغازي (ليبيا)،2002.

30- عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962، **مرا:** عبد العزيز بوشعيرات، دار المعرفة، الجزائر.

31- عمر أحمد سعيد، الإسلام في افريقيا، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط11،ليبيا،1427هـ/2006م.

32- فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، مكتبة التوبة،(د.ب)، (د.ت).

33- ـــــــــــ، منهج المدرسة الأندلسية في التفسير، صفته وخصائصه، مكتبة التوبة ، ط1، السعودية، 1417هـ/1997م .

34- فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، تر:محمود فهمي حجازي، منشورات جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، الرياض،1411هـ/1991م.

35- محمد الفاضل بن عاشور، التفسير ورجاله، مجمع البحوث الإسلامية، د.م، 1390هـ.

36- محمد الهادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبة القشيب، الأستانة الرضوية المقدسة، ط2، إيران، 1420هـ.

37- محمد بن رزق بن طرهوني، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، دار إبن الجوزي، ط1،(د.ب)، 1426هـ.

38- محمد حسين محاسنة، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب الجامعي،ط1، العين، 2000-2001م.

39- محمد رضا، ذي النورين عثمان بن عفان الخليفة الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ت).

40- محمد علي الصلابي، الدولة الأموية عوامل الإزدهار و تداعيات الإنهيار، ط2، بيروت(لبنان)،2008م.

41- محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية في المغرب الإسلامي حضارتها و علاقاتها الخارجية بالمغرب و الأندلس، دار القلم للنشر والتوزيع، ط3، الكويت، 1987.

42- محمد محمد زيتون، المسلمون في المغرب والأندلس،الهيئة العامة للمكتبة الإسكندرية،ط1، 1411هـ/1990م.

43- محمود حسين كوردي ، الحياة العلمية في جبل نفوسة و تأثيراتها على بلاد السودان الغربي خلال القرون 2-8هـ/ 8-14م، مؤسسة تاوالت الثقافية، طرابلس ، 2008.

44- مصطفى إبراهيم المشيني مدرسة التفسير في الأندلس، مؤسسة الرسالة،ط1،بيروت،1406هـ/1986م.

45- ممدوح حسين، افريقية في عصر الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي، دار عمار للنشر والتوزيع،ط1، عمان (الأردن)،1417هـ/1997م.

46- موسى لقبال، المغرب الإسلامي منذ معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة و نظم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الرغاية (الجزائر)، 1918.

47- ناجي جلول، الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1999م.

48- نبيل بن محمد ابراهيم آل اسماعيل، علم القراءات (نشأته، أطواره،أثره في العلوم الشرعية)، تقديم:عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، مكتبة التوبة، المملكة العربية السعودية.

49- نجوى عثمان، مساجد القيروان، دار عكرمة، دمشق، 2000م.

50- هند شلبي، القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس هجري، الدار العربية للكتاب، (د.ب)، 1983.

51- وهبي سليمان غاوجي، أبو حنيفة النعمان إمام الأئمة الفقهاء، دار القلم، ط5، دمشق، 1413هـ/1993م.

-الرسائل العلمية:

1- الحسين بن محمد شواط، مدرسة الحديث في القيروان من القتح الإسلامي إلى منتصف القرن 5 ه، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، 1411ه.

2- أوكيل مصطفى باديس، انتشار الإسلام في بلاد المغرب وآثاره على المجتمع خلال القرن الأول هجري، مذكرة لنيل شهادة الماجستار في التاريخ الإسلامي، إش: صالح بن قربة، جامعة الجزائر، 2005-2006م.

3- بوعلام صالحي، الحياة العلمية في افريقية في عصر الدولة الأغلبية (184-296ه/800-909م)، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، إش: خالد كبير علال، جامعة بن يوسف بن خدة،الجزائر، 1429-1430ه/2008-2009م.

4- سامي محمود محمد أحمد، منهج الشيخ هود بن محكم الهواري في تفسيره، مذكرة لنيل شهادة الماجيستار في علوم القرآن، الجامعة الإسلامية، غزة، 2002م.

5- سعاد زغيشي، منهج هود بن محكم، الهواري في التفسير، مذكرة تخرج لنيل شهادة الدكتورا،إش: منصور الكافي، جامعة الحاج لخضر باتنة، (2006-2007م.

6- شعبان إيمان، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب و أثره الحضاري، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستار في التاريخ الوسيط، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2014-.2015

7- محمد عليلي، الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي خلال القرنين الأول والثالث هجريين، السابع والتاسع ملاديين، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، إش: بلحاج معروف، جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان،2015-.2016

8- يوسف بن أحمد حوالة، الحياة العلمية في إفريقية، جامعة أم القرى،ط1، المملكة العربية السعودية، 1421ه/2000م.

9-فاطمة عبد القادر رضوان، مدينة القيروان في عهد الأغالبة (184ه-296ه)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي،جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، سنة 1991م.

– المجلات:

1- عبد الرحمن حسن الله الحاج أحمد، (بنو الأغلب إدارتهم و دورهم الحضاري بإفريقيا)، مجلة بحوث نصف سنوية، العدد20،جانفي 1999م/رمضان 1419هـ.

2-لمياء عز الدين الصباغ، (القيروان ملتقى الأندلسيين)، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل العدد، 2011.

3-وسيلة بلعيد بن حمدة، نشأة التفسير بتونس، مجلة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين،العدد الأول، 1992.

– الموسوعات والمعاجم:

1- آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8،بيروت، 1426هـ/ 2005م.

2- إبن منظور الإفريقي أبو الفضل جمال الدين محمد بن كرم المصري، لسان العرب، تح: أحمد حيدر، دار الكتب العلمية،ط1،بيروت، (د.ت).

3- الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ، معجم الأدباء، دار الغرب الإسلامي ، ط1، تح:إحسان عباس، بيروت، 1993 .

4- الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت،(د.ت).

5- اليعقوبي أحمد بن يعقوب بن إسحاق الملقب، البلدان، تح: محمد امين ضناوي، دار الكتب العلمية، لبنان.(د.ت)، مج4.

فهرس المحتويات

الموضوع .....الصفحة

البسملة

شكر و تقدير

الإهداء

قائمة المختصرات

المقدمة..... أ

المدخل : عوامل و ارهاصات الحركة العلمية في المغرب الإسلامي.

-دور الوافدين في نشر الإسلامي في المغرب 06

-دور الرحلات العلمية في ترسيخ الإسلام 09

-الحواضر العربية ودورها في نشر الإسلام.....12

-دور المؤسسات التعليمية في نشر الإسلام.....14

الفصل الأول :علم القراءات في المغرب الإسلامي .

المبحث الأول : تعريف علم القراءات وبداياته.

-تعريف علم القراءات 18

-نشأة علم القراءات.....19

-مراحل تطور علم القراءات.....20

المبحث الثاني: علم القراءات في بلاد المغرب.

-علم القراءات في المغرب الأدنى (دولة الأغالبة) 22

-علم القراءات في المغرب الأوسط(الدولة الرستمية).....26

المبحث الثالث : علم القراءات في الأندلس(الدولة الأموية) 31

الفصل الثاني :علم التفسير في بلاد المغرب الإسلامي.

المبحث الأول : تعريف علم التفسير و أهميته.

-تعريف التفسير و أنواعه.....39

-نشأة علم التفسير 43

-أهمية علم التفسير 45
المبحث الثاني : علم التفسير في المغرب الإسلامي .
-التفسير في المغرب الأدنى (دولة الأغالبة).....46
-التفسير في المغرب الأوسط (الدولة الرستمية)..... 52
-المبحث الثالث :التفسير في الأندلس (الدولة الأموية) 57
الفصل الثالث : أشهر المقرئين و المفسرين و مصنفاتهم.
المبحث الأول :أشهر المقرئيين ومصنفاهم.
-في المغرب الأدنى (دولة الأغالبة).....61
-في المغرب الأوسط (الرستميين).....65
-في الأندلس (الأمويين).....65
المبحث الثاني أشهر المفسرين و مصنفاتهم.
-في المغرب الأدنى.....66
في المغرب الأوسط 71
-في الأندلس 81
الخاتمة 85
الملاحق 88
قائمة المصادر والمراجع 93
فهرس الموضوعات 103